كتاب الاسبوع رقم47

قلق في الحضارة

تأليف: سيجموند فرويد

ترجمة: جورج الطرابيشي

عرض وتلخيص: أ.د. معن عبدالباري قاسم صالح

أستاذ مشارك – قسم الطب النفسي كلية الطب جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل (الدمام سابقا)

عضو اللجنة الاستشارية العلمية لشبكة العلوم النفسية العربية

maansaleh62@yahoo.com

الكتـاب خيـر جليـس

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي . في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية

هو واحد من ستة اعمال مرجعية حرصنا على عرضها تباعا في هذه الاحتفالية بذكرى مولد فرويد السنوية

تركيز في هذا الكتاب تحديدا على أزمة الحضارة التي إحتقنت بالقلق والتوترات المعززة لفرضية فرويد لغريزة الموت

سنكتفي بالاقتباسات وحدها كونها تلخص جملة حكم ومقولات وافتراضات وتحليلات وجهة نظر فرويد عن هذه الموضوعات

ليس للمرء أن يدفع عن نفسه الشعور بأن بني الانسان يخطئون بصورة عامة في تقديراتهم .ففي حين تراهم يبذلون قصارى جهودهم للفوز بالمتعة أو النجاح أو الغنى، أو ينظرون بعين الاعجاب الى كل ذلك لدى الاخرين ، تجدهم يهونون بالمقابل من شأن القيم الحقيقية للحياة

هذا الكتاب من تأليف الطبيب النفسي الشهير سيجموند فرويد وهو واحد من ستة اعمال مرجعية حرصنا على عرضها تباعا في هذه الاحتفالية بذكرى مولد فرويد السنوية. صدر الكتاب عن مكتبة دار الطليعة للطباعة والنشر في بيروت والغلاف الظاهر هنا هو للطبعة العربية الثالثة منه عام 1982 وهي نسخة مترجمة عن الطبعة الفرنسية الصادرة في 1971بعنوان" Malaise dans la Civilisation. Par " Sigmund Freud, Presses Universitaires , De France-Paris,1971

يقع الكتاب في 118صفحة من القطاع الصغير. وجاء مفهرسا وفقا للمحتويات بتقسيمها الى ثمانية فصول مرقمة بترتيب عددي فقط.

كما اوضحت سلفا وفي تناولاتنا السابقة لاعمال فرويد أن عناوين الفصول لموضوعات الكتاب قد توزعت بشكل تعكس الخصائص النمائية التطورية وتركيز في هذا الكتاب تحديدا على أزمة الحضارة التي إحتقنت بالقلق والتوترات المعززة لفرضية فرويد لغريزة الموت. وسنكتفي بالاقتباسات وحدها كونها تلخص جملة حكم ومقولات وافتراضات وتحليلات وجهة نظر فرويد عن هذه الموضوعات ومن جانب اخر لضمان أمانه التلخيص وتفادي قدر المستطاع التحيزات والتدخلات الذاتية في التناول، معلقين الامل على فتح شهية القارئ نحو الكتاب والتعرف على التفاصيل.

1- ليس للمرء أن يدفع عن نفسه الشعور بأن بني الانسان يخطئون بصورة عامة في تقديراتهم .ففي حين تراهم يبذلون قصارى جهودهم للفوز بالمتعة أو النجاح أو الغنى، أو ينظرون بعين الاعجاب الى كل ذلك لدى الاخرين ، تجدهم يهونون بالمقابل من شأن القيم الحقيقية للحياة . لكن ما أن نصدر حكماً بمثل هذا القدر من العمومية، حتى نجد أنفسنا وقد بتنا عرضه لخطر تناسي التنوع العظيم الذي تمثله الكائنات والنفوس .فليس من المتعذر أن يحيط عصر بعينه من العصور عظام رجاله بالتكريم والتقدير، حتى وأن دانو بشهرتهم لصفات وأعمال غريبة تماماً عن أهداف الجمهور ومثله العليا. بيد أننا سنسلم بطيبة خاطر، على كل حال، بأن صيتهم لن يذيع الا في اوساط أقلية محدودة، بينما سيبقون مجهولين من قبل الغالبية الكبرى . ولكن نظراً الى أن أفكار الناس لا تتفق وأفعالهم ، ومن أسباب ذلك تعدد رغائبهم الغريزية وكثرتها ، فان الامور لا يمكن أن تكون على هذا القدر البالغ من البساطة .ص5

2- ليس ثمة ما هو أكثر استقراراً وثبوتا فينا ، في الحالات السوية ، من شعورنا بأنفسنا ، باانا الخاص .ويظهر لنا هذه الأنا مستقلاً، واحداً، متمايزاً عميق التمايز عن كل ما عداه. ص-8

3- ففي ذروة حالة العشق والوله يتهدد بالامحاء الخط الفاصل بين الأنا والموضوع . ص-8

4- يطلعنا علم الامراض على عدد وفير من الحالات التي يصبح فيها الخط الفاصل بين الأنا والعالم الخارجي غير واضح وغير دقيق فعلاً: ففي بعض الاحوال تبدو اجزاء من بدننا ، بل عناصر من حياتنا النفسية ، من ادراكات وأفكار ومشاعر ، وكأنها غريبة وأجنبية ولا تؤلف جزءاً من الأنا ؛ لكن في أحوال أخرى نعزو الى العالم الخارجي ما رأى النور بلا مراء في الأنا وما يفترض في هذا الاخير ان يتعرفه .هكذا نرى ان الشعور بالأنا عرضه هو نفسه للتحريف والتشويه، وأن حدوده ليست ثابتة . ص-8

5- ان الشعور بالانا الذي ينتاب الراشد لا يمكن ان يكون هو هو من الاصل والبداية . ص-9

6- ان الرضيع لا يميز بعد اناه من عالم خارجي يعتبره مصدر الاحاسيس العديدة التي تتدفق منه اليه. وهو لا يتعلم أن يقوم بهذا التمييز الا شيئاً بعد شيء، بفضل محرضات مختلفة خارجية المصدر .وثمة واقعة على كل الاحوال تخلف فيه ، ولابد ،اعظم الوقع وأقوى الاثر ، وهي ان بعض مصادر الاثارة ، التي لن يعترف الا في زمن لاحق بانها صادرة عن اعضائة بالذات ،قابلة لان تزوده بالاحساسات في كل لحظة ودقيقة ، بينما ينضب معين بعض مصادر الاثارة الاخرى ، الاسرع الى الزوال ،بصورة دورية – ولنذكر من بينها أشهاها اليه : ثدي الأم – ولا تعاود انبجاسها الا اذا لجأ هو نفسه الى الصراخ . ص-9

7- **في ميدان الارتقاء الحيواني، نحن نتسمك بالتصور الذي يقول ان الانواع الاكثر ارتقاء تنحدر من الانواع الاكثر بدائية . ومع ذلك ما نزال نشاهد الى اليوم مختلف الاشكال**

ليس ثمة ما هو أكثر استقراراً وثبوتا فينا ، في الحالات السوية ، من شعورنا بأنفسنا ، باانا الخاص .ويظهر لنا هذه الأنا مستقلاً، واحداً، متمايزاً عميق التمايز عن كل ما عداه.

في ذروة حالة العشق والوله يتهدد بالامحاء الخط الفاصل بين الأنا والموضوع

يطلعنا علم الامراض على عدد وفير من الحالات التي يصبح فيها الخط الفاصل بين الأنا والعالم الخارجي غير واضح وغير دقيق فعلاً

ان الشعور بالانا الذي ينتاب الراشد لا يمكن ان يكون هو هو من الاصل والبداية

ان الرضيع لا يميز بعد اناه من عالم خارجي يعتبره مصدر الاحاسيس العديدة التي تتدفق منه اليه. وهو لا يتعلم أن يقوم بهذا التمييز الا شيئاً بعد شيء، بفضل محرضات مختلفة خارجية المصدر

في ميدان الارتقاء الحيواني، نحن نتسمك بالتصور الذي يقول ان الانواع الاكثر ارتقاء تنحدر من الانواع الاكثر بدائية . ومع ذلك ما نزال نشاهد الى اليوم مختلف الاشكال الاكثر بساطة للحياة بين الانواع الحية

أما في الميدان النفسي بالمقابل، فأن استمرار الحالة البدائية الى جانب الحالة المتطورة المتفرعة عنها كثير التواتر الى حد يغني عن الحاجة الى البرهان عليه بأمثلة ؛ وهو ينجم، في غالب الاحيان ، عن انغلاق أو انشقاق أثناء التطور

فأطوار الارتقاء السابقة لم تحظ ببقاء أفضل، بل ضاعت بدورها

الاكثر بساطة للحياة بين الانواع الحية .فقد انطفأ نوع العظائيات الكبرى لتحل محله الثدييات ، ومع ذلك ما يزال ممثل أصيل لذلك النوع، وهو التمساح، يحيا بين ظهرانينا . وقد تبدو المقايسة بعيدة كل البعد، فضلاً عن انه يشوبها عيب محدد وهو كون معظم الانواع الدنيا الباقية على قيد الحياة لا تمثل الاسلاف الحقيقين للانواع الراهنة التي كانت أشد بطئاً في ارتقائها .كذلك فان الانماط الوسيطة قد تلاشت وبادت بوجه عام، ونحن لا نعرفها الا عن طريق اعادة تكوينها .ص-11

8- أما في الميدان النفسي بالمقابل، فأن استمرار الحالة البدائية الى جانب الحالة المتطورة المتفرعة عنها كثير التواتر الى حد يغني عن الحاجة الى البرهان عليه بأمثلة ؛ وهو ينجم، في غالب الاحيان ، عن انفلاق أو انشقاق أثناء التطور. ففي حين أمكن لعنصر معين (كمي) من موقف معين أو من غريزة معينة أن يفلت من كل تعديل أو تبديل ، تعرض عنصر آخر للتغير الملازم للتطور اللاحق . ص12

9- فأطوار الارتقاء السابقة لم تحظ ببقاء أفضل، بل ضاعت بدورها في الاطوار اللاحقة ،مورثة اياها مادتها. ومن رابع المستحيلات الاهتداء الى الجنين لدى الراشد؛ فلئن تكن غدة الطفل الصعترية قد حل محلها النسيج الضام بعد البلوغ، فان الغدة من حيث انها غدة لم يعد لها من وجود البتة .(الغدة الصعترية غدة صغيرة صماء قرب قاعدة العمق مقابل الرغامه ولا توجد الا لدى الاطفال وصغار الحيوانات).ص-16

10- علينا اذن ان نسلم بالحقيقة الثابتة التالية ، وهي أن استمرار جميع الاطوار السابقة في قلب الطور النهائي غير ممكن الا في الميدان النفسي ، وأن الرؤية الواضحة لهذه الظاهرة تتمنع على ابصارنا وتفر منها .ص16

11- **لا يمكن لشعور ما ان يغدو ينبوع طاقة الا اذا كان هو نفسه تعبيراً عن حاجة ماسة** ..ص17

12- **ان المرء لو مارس اليوغا، أي لو انصرف عن العالم الخارجي وثبت انتباهه على بعض الوظائف البدنية وأعتمد طريقة خاصة في التنفس، لامكنه أن يوقظ في ذاته احساسات جديدة وشعوراً بالشمول والكونية** . وهو يعد هذه الظاهرات تعبيراً عن عودة الى حالات بدئية أو أصلية ، تم تجاوزها منذ زمن بعيد ، من حياة الروح ؛ ويرى فيها البرهان الفيزيولوجي – اذا صح التعبير- على جملة من مبادئ الحكمة الصوفية .وقد يكون من المباح لنا هنا أن نقرب تلك الظاهرات من تبدلات غامضة أخرى تطرأ على الروح كالوجد او الانخطاف ؛ لكنني شخصياً تراودني الحاجة بالاحرى الى ان اهتف مع غطاس شيلر: انما يبتهج من يستنشق النور الوردي . ص18

-II-

13- "**من يملك العلم والفن ، يملك ايضاً الدين" . فهل يمكن ان يكون صاحب دين من كان خالي الوفاض ، من الاثنين !** جوتا:"القصائد المروضة"

في الاطوار اللاحقة ،مورثة اياها مادتها

هي أن استمرار جميع الاطوار السابقة في قلب الطور النهائي غير ممكن الا في الميدان النفسي ، وأن الرؤية الواضحة لهذه الظاهرة تتمنع على ابصارنا وتفر منها

لا يمكن لشعور ما ان يغدو ينبوع طاقة الا اذا كان هو نفسه تعبيراً عن حاجة ماسة

ان المرء لو مارس اليوغا، أي لو انصرف عن العالم الخارجي وثبت انتباهه على بعض الوظائف البدنية وأعتمد طريقة خاصة في التنفس، لامكنه أن يوقظ في ذاته احساسات جديدة وشعوراً بالشمول والكونية

"من يملك العلم والفن ، يملك ايضاً الدين" . فهل يمكن ان يكون صاحب دين من كان خالي الوفاض ، من الاثنين !

ان حياتنا ،كما هي مفروضة علينا ، ثقيلة الوطء ، وتغل أعناقنا بكثرة كثيرة من المشاق والخيبات والمهام الكأداء. وحتى نستطيع لها أحتمالاً، فلا غنى لنا اعن المسكنات

لعل المسكنات على أنواع ثلاثة : أولها ألهيات قوية تتيح لنا ان نعتبر بؤسنا هيناً امره ..- وثانيها اشباعات بديلة تخفف من وطأته ،- واخيرها مخدرات تفقدها الاحساس به .

ما المقاصد والمرامي الحيوية التي ينم عنها البشر بسلوكهم ؟ماذا يطلبون من الحياة وإلام يرمون؟ ليس ثمة من احتمال في أن نخطئ لو اجبنا بالقول: أنهم يرمون الى السعادة الناس يريدون ان يكونون،

14- **ان حياتنا ،كما هي مفروضة علينا ، ثقيلة الوطء ، وتغل أعناقنا بكثرة كثيرة من المشاق والخيبات والمهام الكأداء. وحتى نستطيع لها أحتمالاً، فلا غنى لنا اعن المسكنات (قال ثيودور فونتان : لن تسير الامور على ما يرام بدون "صقالة نجدة".** ولعل المسكنات على أنواع ثلاثة : أولها ألهيات قوية تتيح لنا ان نعتبر بؤسنا هيناً امره .،- وثانيها اشباعات بديلة تخفف من وطأته ،- واخيرها مخدرات تفقدها الاحساس به .

15- يعبر فيلهلم باش، وأن بألفاظ اقل سموا ، عن الفكرة نفسها في هيلينا الورعة :"من عنده هموم عنده ايضاً كحول".ص21

16- ما المقاصد والمرامي الحيوية التي ينم عنها البشر بسلوكهم ؟ماذا يطلبون من الحياة وإلام يرمون؟ ليس ثمة من احتمال في أن نخطئ لو اجبنا بالقول: أنهم يرمون الى السعادة ؛الناس يريدون ان يكونون سعداء وان يبقوا كذلك. ولهذا **الطموح وجهان، هدف سلبي وهدف ايجابي : من جهة تجنب الالم وتحاشي الحرمان من الفرح، ومن جهة الثانية نشدان متع وملذات عارمة.**ص22

17- **جلي للعيان اذن أن مبدأ اللذة، ،دون غيره، هوالذي يحدد هدف الحياة** . ويتحكم من البدء بعمليات الجهاز النفسي ؛ و لا يمكن لظل من شك أن يحوم حول نفعه ، ومع ذلك يقف الكون قاطبة – العالم الاكبر والعالم الاصغر على حد سواء- من برنامجه موقف الخصام والتحدي . ص-23

18- وبالمقابل، فأنه لأيسر علينا بكثير أن نذوق تجربة التعاسة. فالإلم يتهددنا من ثلاث جهات: 1-في جسمنا بالذات ،المكتوب عليه الانحطاط والانحلال، والعاجز حتى عن الاستغناء عن تلك النذر في المتمثله في الالم والهم ؛ 2-ثم من جهة العالم الخارجي الذي تتوفر له قوى عتية لا تقهر ولا تعرف الرحمه في ضراوته علينا وسعية الى ابادتنا؛3- ويتأتى التهديد الثالث اخيراً من علاقتنا بسائر الكائنات الانسانية .

19- **غوته يغالي الى حد القول :"ليس اشق على النفس من تحمل سلسلة من الأيام الحلوة".**ص 23

20- اذا ماوجدنا الانسان ،تحت ضغط احتمالات الالم تلك، يركز جهده عادة على الحد من مطامحة في السعادة (على النحو ما يفعل تقريباً مبدأ اللذة بتحوله تحت ضغط العالم الخارجي الى مبدأ اكثر تواضعاً هو مبدأ الواقع)، ويعتبر نفسه سعيداً لمجرد انه نجا من التعاسة وتغلب على الالم ؛ كما لم تأخذنا الدهشة البتة اذا ما رأينا بوجه عام مهمة تحاشي الالم تتقدم على مهمة الفوز بالمتعة وتنحيها الى الوراء .ويعلمنا التفكير انه في مقدور المرء ان يسعى الى حل هذه المعضلة بطرق شديدة التنوع ؛ وقد اوصت بها جميعها مختلف المدارس التي كانت تعلم الحكمة ؛وقد اتبعها بنو الانسان. أن التلبية اللامحدودة لجميع الحاجات تطرح علينا نفسها بإلحاح باعتبارها نمط الحياة الاكثر اغراء، لكن الاخذ بها يعني تقديم اللذة على الحذر ،وكل محاولة من هذا القبيل لابد ان يعقبها سريعاً القصاص .اما الطرائق الاخرى التى تجعل هدفها الرئيسي تحاشي الالم فتتمايز وتتنوع تبعاً لمصدر التنغيص الذي يتركز عليه الانتباه. فتمة طرائق متطرفة، واخرى معتدلة؛ بعضها احادي الجانب ، وبعضها الاخر يتصدى لعدة جهات في آن معاً. **ويشكل**

سعداء وان يبقوا كذلك.

لهذا الطموح وجهان، هدف سلبي وهدف ايجابي : من جهة تجنب الالم وتحاشي الحرمان من الفرح، ومن جهة الثانية نشدان متع وملذات عارمة

جلي للعيان اذن أن مبدأ اللذة، ،دون غيره، هوالذي يحدد هدف الحياة . ويتحكم من البدء بعمليات الجهاز النفسي

لا يمكن لظل من شك أن يحوم حول نفعه ، ومع ذلك يقف الكون قاطبة – العالم الاكبر والعالم الاصغر على حد سواء- من برنامجه موقف الخصام والتحدي

بالمقابل، فأنه لأيسر علينا بكثير أن نذوق تجربة التعاسة. فالإلم يتهددنا من ثلاث جهات:

في جسمنا بالذات ،المكتوب عليه الانحطاط والانحلال، والعاجز حتى عن الاستغناء عن تلك النذر في المتمثله في الالم والهم

غوته يغالي الى حد القول :"ليس اشق على النفس من تحمل سلسلة من الأيام الحلوة".

اذا ماوجدنا الانسان ،تحت ضغط احتمالات الالم تلك، يركز جهده عادة على الحد من مطامحة في السعادة (على النحو ما يفعل تقريباً مبدأ اللذة بتحوله تحت ضغط العالم الخارجي الى مبدأ اكثر تواضعاً هو مبدأ الواقع)،

لم تأخذنا الدهشة البتة اذا ما رأينا بوجه عام مهمة تحاشي الالم تتقدم على مهمة الفوز بالمتعة وتنحيها الى الوراء

الاختلاء والانزواء الارادي والابتعاد عن الاخرين التدبير المباشر للاحتماء من الالم الناشيء عن الاحتكاكات الانسانية .وجلي للعيان أن السعادة التى يتم التوصل اليها عن طريق هذا التدبير هي سعادة السكون والسكينة .فحين يتهيب المرء من العالم الخارجي ،فلا سبيل له الى الاحتماء منه الإ بالتنائي والابتعاد في اي شكل كان . ص24

21- في الحقيقة **توجد طريقة مختلفة وأفضل؛ فحين يدرك المرء أنه عضو في الجماعة البشرية ومسلح بالتقنية التي ابتكرها العلم، يتحول الى مواجهة الطبيعة التي يخضعها عندئذ لارادته :فيشتغل مع الجميع في سبيل سعادة الجميع** . لكن اجدر طرائق الاحتماء من الالم بالاهتمام هي تلك التي ترمي الى التأثير على عضويتنا بالذات. فما **الالم في خاتمة المطاف الا احساس ، ولا وجود له الا بقدر ما نشعر به . ونحن لا نشعر به الا بفضل بعض الاستعدادات المتوفرة لجسمنا . أن اشد الطرائق الهادفة الى احداث مثل هذا التأثير الجسماني فجاجة وأكثرها نجعا وفعالية في ان واحد هي الطريقة الكيمائية ،التسميم. ويخيل الي ان ما من احد قد نفذ بعد الى كنه إواليته ،لكن من الحقائق الثابتة أن بعض المواد الغريبة عن الجسم توفر لنا ، بتواجدها في الدم والانسجة، احساسات محببة فورية ،وأنها تعدل ايضاً شروط حساسيتنا الى حد لا نعود معه قادرين على الشعور بأي احساس مزعج.** وهذان مفعولان ليسا متواقتين فحسب، بل يبدوان مترابطين ترابطاً حميمياً . وارجح الظن انه تتشكل في تركيبنا الكيمائي العضوي الداخلي مواد قمينة بإحداث اشباه تلك المفاعيل ،لأننا **نعرف حالة مرضية واحدة على الاقل ، هي الهوس، يتحقق فيها سلوك مماثل للسُكر بدون تدخل اي مخدر مسكر.** وتنطوي حياتنا النفسية السوية، ناهيك عن ذلك، على تأرجحات تنبجس اثناءها احساسات اللذة بقدر او بأخر من اليسر أو من العسر، وبالتوازي معها تتكشف حساسيتنا بالتنغيص عن أنها أوهن أو اقوى من المألوف . **وأنه لأمر يدعو الى الاسف فعلا أن يكون هذا الجانب السُمي من السيرورات النفسية قد تملص حتى اليوم من التمحيص العلمي** .هذا مع **ان مفعول المخدرات يحظى بتقدير عظيم ويعتبر دواء عظيم النجع في النضال في سبيل تأمين السعادة أو بابعاد شبح التعاسة ، الى حد أن بعض الافراد ، بل شعوباً بكاملها ، قد خصوا المخدرات بمكان ثابت في اقتصاد طاقتهم الليبيدية. فالمخدرات لا توفر لهم متعة فورية فحسب، بل ايضاً درجة من الاستقلال عن العالم الخارجي طالما تاقت اليها أنفسهم** . ومن المعلوم أنه يمكن للمرء ،بفضل "محطم الهموم"،أن يتملص في كل لحظة من الواقع وأن يلوذ بعالم خاص به يتيح شروطاً أنسب لحساسيته .لكن من المعلوم أيضاً أن خاصية المخدرات هذه هي بالضبط التي تشكل وجه الخطر والضرر فيها .فعليها تقع، في **بعض الظروف ؛مسؤولية تبذير مبالغ هائلة من الطاقة كان يمكن استخدامها في تحسين مصير الادميين** . فما دامت السعادة تعني تلبية الغرائز ،فأن العالم الخارجي اذا ما ضن علينا بإرواء غليل غرائزنا وتركنا في حالة من العوز والفاقة، يتحول الى علة جديدة لألام هائلة .ولهذا يمكن أن يراود المرء الامل بالانعتاق من بعض ذلك الالم فيما لو ضغط على تلك الحاجات الغريزية ذاتها .ص26

22- من اساليب الاحتماء الاخرى من الالم اللجوء الى تغيير وجهة الليبيدو ، على نحو مايسمح به جهازنا النفسي الذي يكتسب بنتيجة ذلك مرونة كبيرة.

23- **المرء يحصل على اساس هذا التصعيد على أكمل نتيجة حين يجعل هدفه أن يستمد من الكدح العقلي ومن النشاط الفكري مقداراً رفيعاً من اللذة.**ص27

جلي للعيان أن السعادة التى يتم التوصل اليها عن طريق هذا التدبير هي سعادة السكون والسكينة .فحين يتهيب المرء من العالم الخارجي ،فلا سبيل له الى الاحتماء منه الإ بالتنائي والابتعاد في اي شكل كان

حين يدرك المرء أنه عضو في الجماعة البشرية ومسلح بالتقنية التي ابتكرها العلم، يتحول الى مواجهة الطبيعة التي يخضعها عندئذ لارادته :فيشتغل مع الجميع في سبيل سعادة الجميع

اجدر طرائق الاحتماء من الالم بالاهتمام هي تلك التي ترمي الى التأثير على عضويتنا بالذات

ما الالم في خاتمة المطاف الا احساس ، ولا وجود له الا بقدر ما نشعر به . ونحن لا نشعر به الا بفضل بعض الاستعدادات المتوفرة لجسمنا

أن اشد الطرائق الهادفة الى احداث مثل هذا التأثير الجسماني فجاجة وأكثرها نجعا وفعالية في ان واحد هي الطريقة الكيمائية ،التسميم

أن بعض المواد الغريبة عن الجسم توفر لنا ، بتواجدها في الدم والانسجة، احساسات محببة فورية ،وأنها تعدل ايضاً شروط حساسيتنا الى حد لا نعود معه قادرين على الشعور بأي احساس مزعج

تنطوي حياتنا النفسية السوية، ناهيك عن ذلك، على تأرجحات تنبجس اثناءها احساسات اللذة بقدر او بأخر من اليسر أو من العسر

أنه لأمر يدعو الى الاسف فعلا أن يكون هذا الجانب السُمي

24- **أن الواقع يجعل حياتنا مستحيلة لا تطاق، فلابد من قطع كل صلة به، اذا كنا نحرص على السعادة بصورة من الصور .ولكن ثمة أمكانية للمضي قدما الى أبعد من ذلك ، وبتوطيد العزم على تغيير هذا العالم ، وتشييد عالم آخر مكانه تزول منه المظاهر الشاقة على النفس وتقوم مقامها مظاهر اخرى اكثر انسجاماً مع رغائبنا .لكن الكائن، الذي يدفع به تمرده اليائس الى سلوك هذا النهج لبلوغ السعادة، لايصل الى شيء عادة ؛ اذ سيجد الواقع اقوى منه ،وسينقلب مجنوناً مأفونا لا يمد اليه احد يد المساعدة، في غالب الاحوال ، لتحقيق هذيانه . ص-30**

25- هناك من يزعم أن كل واحد منا يسلك ،بصدد نقطة معينة أو أخرى، سلوك المصاب بالذهان الهذائي paranoia ، فيصحح بواسطة الاحلام عناصر العالم التي لا يطيقها، ثم يدرج هذه الاوهام في الواقع. وثمة حالة تكتسي بأهمية خاصة؛ وهي تقوم متى ماسعت الكائنات البشرية بأعداد كبيرة الى تأمين السعادة لنفسها والى الاحتماء من الالم بواسطة تشويه خرافي للواقع .ص30

26- في وسعنا ايضاً ان ندرج حالة مثيرة للاهتمام ؛ نعني نشدان السعادة في المقام الاول في المتع التي يوحي بها الجمال، حيثما استوقف هذا الجمال حواسنا أو فكرنا : جمال الاشكال والحركات الانسانية ،جمال الاشياء والمناظر الطبيعية ، جمال الابداعات الفنية وحتى العلمية .أن هذا الموقف الجمالي المنظور اليه على انه هدف الحياة لا يوفر لنا الا حماية واهنة من الادواء والاوجاع التي تتهددنا ، لكنه يعوضنا عن الكثير من الاشياء . والمتعة الجمالية بصفتها انفعالاً يبث في النفس نشوة خفيفة من الثمل، متعة لها طابعها المميز الخاص فالجانب النفعي من الجمال لا يتجلى للعيان بوضوح وجلاء؛ والناس لا تدرك حق الادراك ضرورته للحضارة، ومع ذلك لا يسع هذه الاخيرة عنه استغناء.ص 32

27- **يتوجب على كل أمرئ أن يبحث بنفسه عن الكيفية التي يمكنه بها أن غدو سعيداً .وكل شي يرتهن بمقدار الاشباع الفعلي الذي يمكن لكل فرد أن ينتظره من العالم الخارجي ، وبمدى قدرته على الاستقلال بنفسه عن هذا العالم ، واخيراً بالقوة المتاحة له كي يبدله وفق رغبائة** .والتكوين النفسي للفرد يلعب هنا من الاساس ، بصرف النظر عن الظروف الموضوعية ، دوراً جوهرياً. فالانسان ذو المزاج الايروسي في المقام الاول سيضع في المرتبة الاولى العلاقات العاطفية مع الاخرين وسيقدمها على سواها، بينما:سينشد النرجسي ، الميال الى الاكتفاء بذاته ، المتع الاساسية بين تلك التي يستمدها من حياته الداخلية ، في حين أن الرجل العملي النشيط لن ينفض يديه من عالم في مقدوره ان يتبارى وإياه .وبالنسبة الى ثاني هذه الانماط ،فان طبيعة مواهبه والدرجة التي يمكنه بلوغها من تصعيد الغرائز هما اللتان ستقرران الوجهة التي سيصب فيها اهتمامه . وكل قرار فيه تطرف وشطط سيترتب عليه جزاء يتعرض معه صاحبه للاخطار الملازمة لعدم كفاية كل خطة حياتيه قاصرة على نفسها مانعة لغيرها . وكما ان التاجر الفطن يتحاشى توظيف ماله كله في صفقة وحدة ، كذلك فان الحكمة قد تقضي بالا يتوقع المرء كل الاشباع من نازع واحد واحد .والنجاح ليس اكيداً البتة ؛ بل هو مرهون بتضافر عدد من العوامل؛ لكن ربما كان العامل الذي ينيط النجاح به اكثر من اي عامل اخر هو المقدرة المتاحة لجبلتنا النفسية على تكييف وظائفه مع الوسط والبيئة واستخدامها لاغراض اللذة .أما الكائن الذي يأتي الى هذا العالم بجبلة غريزية غير مؤاتية ، فأنه سيواجه مشقة عظيمة في الوصول الى السعادة خارج ذاته ، أذ لم يطلع حسب القواعد المعروفة بعبء ذلك التغيير وذلك التجميع الضروريين

من السيرورات النفسية قد تملص حتى اليوم من التمحيص العلمي

ان مفعول المخدرات يحظى بتقدير عظيم ويعتبر دواء عظيم النجع في النضال في سبيل تأمين السعادة أو بابعاد شبح التعاسة

المخدرات لا توفر لهم متعة فورية فحسب، بل ايضاً درجة من الاستقلال عن العالم الخارجي طالما تاقت اليها أنفسهم

من المعلوم أنه يمكن للمرء ،بفضل "محطم الهموم"،أن يتملص في كل لحظة من الواقع وأن يلوذ بعالم خاص به يتيح شروطاً أنسب لحساسيته

من المعلوم أيضاً أن خاصية المخدرات هذه هي بالضبط التي تشكل وجه الخطر والضرر فيها .فعليها تقع، في بعض الظروف ،مسؤولية تبذير مبالغ هائلة من الطاقة كان يمكن استخدامها في تحسين مصير الادميين

من اساليب الاحتماء الاخرى من الالم اللجوء الى تغيير وجهة الليبيدو ، على نحو مايسمح به جهازنا النفسي الذي يكتسب بنتيجة ذلك مرونة كبيرة

المرء يحصل على اساس هذا التصعيد على أكمل نتيجة حين يجعل هدفه أن يستمد من الكدح العقلي ومن النشاط الفكري مقداراً رفيعاً من اللذة

أن الواقع يجعل حياتنا مستحيلة لا تطاق، فلابد من قطع كل صلة به، اذا كنا نحرص على السعادة بصورة من الصور

هناك من يزعم أن كل واحد

كل الضرورة للنشاط المستقبلي لطاقته الليبدية – ولاسيما أن المصير سيضعه أمام مهام تفوق غيرها صعوبة . واخر خطة حياتية تعرض نفسها عليه، واعدة اياه باشباعات بديلة على الاقل، هي اللواذ بالمرض العصبي، وهو اللواذ الذي ينفذه في غالب الاحايين في سن مبكرة .اما اذا تقدم العمر بالانسان ورأى جهوده الرامية الى السعادة تؤول الى احباط وإخفاق ، فإنه قد يجد عزاء في المتع التي يتحيها له التسمم المزمن ؛ أو أنه قد يقوم بمحاولة تمرد يائسة تعرف لدينا بأسم الذهان . ص34

-III-

28- **أن ما نسميه بحضارتنا هو الذي ينبغي ان نحمله الى حد كبير تبعة بؤسنا، وأن التخلي عن هذه الحضارة للعودة الى الحالة البدائية سيكفل لنا قدراً من السعادة اكبر بكثير . انني اعتبر هذا التوكيد عجيبا ومدهشا –ان كل ما نسعى الى تجنيده لحمايتنا من تهديدات الالم الناجم عن هذا أو ذاك من المصادر الانفة الذكر أنما هو من صنع هذه الحضارات عينها**.ص37

29- **ان عامل العداء للحضارة كان من أسباب انتصار المسيحية على الوثنية ، اذا جرى الربط وثيق الربط بينه وبين الخفض من قيمة الحياة الارضية كما نادى به المذهب المسيحي** . وقد قام ما قبل الاخير من تلك الظروف التاريخية حين اتاح تطور الاسفار الاستكشافية امكانية الاتصال بالاجناس والشعوب المتوحشة .فقد تصور الاوربيون ،نظراً الى عدم توفر الملاحظات الكافية والتفهم الصحيح لعادات المتوحشيين وأعرافهم ؛ أن هؤلاء الاخيرين يحيون حياة بسيطة وسعيدة ، فقيرة بالحاجات، على نحو ما عاد متاحاً للمستكشفين الاكثر تمدينا الذين يزورونهم.وقد جاءت التجربة اللاحقة لتصحح ، في اكثر من نقطة، ذالك الحكم . فقد ارتكب الاوربيون مراراً وتكراراً خطأ عزو وخفة الاعباء هذه الى غياب المطالب البالغة التعقيد والناجمة عن الحضارة ، مع ان الفضل فيها كان يعود ،بوجه الاجمال، الى كرم الطبيعة والى جميع التسهيلات التي تتيحها للمتوحشين لتلبية حاجتهم الحيوية .اما اخر تلك الظروف التاريخية فقد قام حين تعلمنا ان نميز اواليات العصاب الذي يهدد بتخريب القسط الضئيل من السعادة الذي فاز به الانسان المتمدين .وقد اكتشف الناس عندئذ ان الانسان يصير عصابياً لانه لا يستطيع ان يتحمل درجة العزوف والزهد التي يتطلبها المجتمع بإسم مثله الاعلى الثقافي ،وخلصوا الى الاستنتاج بأن الغاء تلك المطالب أوتخفيفها يعني رجوعاً الى امكانيات السعادة . هناك سبب اخر ايضا للخيبة ولانقشاع الاوهام .فخلال الاجيال الاخيرة تمكنت البشرية في مجال العلوم الفيزيائية والطبيعة وتطبيقاتها التقنية من تحقيق تقدم خارق للمألوف ؛ وقد بسطت بنتيجة ذلك سيطرتها على الطبيعة على نحو ما كان يمكن تصوره قبل اليوم . وسمات هذا التقدم معروفة للجميع الى حد يغني حتى عن تعدادها . وبنو الانسان فخورون بتلك الفتوحات ، وهم في فخرهم هذا محقون . بيد انه يخيل اليهم أن هذه السيطرة الحديثة العهد على المكان والزمان ، وهذا الاسترقاق لقوى الطبيعة ، وهذا التحقيق لصبوات وأماني لها من العمر الالف السنين، لم تزد البتة من مقدار المتعة التي ينتظرونها من الحياة . ومن ثم ، لا يعمر افئدتهم الاحساس بأنهم صاروا بنتيجة ذلك اكثر سعادة . وقد كان من المفروض أن يكتفوا بالاستنتاج بأن السيطرة على الطبيعة ليست شرط السعادة الوحيدة ، كما انها ليست الهدف اليتيم لعملية التمدين، لا أن يستنتجوا أن تقدم التقنية غير ذي قيمة بالنسبة الى "اقتصاد" سعادتنا .وبالفعل ،ألن نميل ازاء الاستنتاج الاخير الى الاعتراض بقولنا: اليس مكسباً ايجابياً من اللذة ،الا يزداد بلا لبس شعوري بالسعادة ،اذا ما امكنني ان اسمع

هنا يسلك ،بصدد نقطة معينة أو أخرى، سلوك المصاب بالذهان الهذائي paranoia ، فيصحح بواسطة الاحلام عناصر العالم التي لا يطيقها، ثم يدرج هذه الاوهام في الواقع

في وسعنا ايضاً ان ندرج حالة مثيرة للاهتمام ؛ نعني نشدان السعادة في المقام الاول في المتع التي يوحي بها الجمال، حيثما استوقف هذا الجمال حواسنا أو فكرنا

المتعة الجمالية بصفتها انفعالاً يبث في النفس نشوة خفيفة من الثمل، متعة لها طابعها المميز الخاص فالجانب النفعي من الجمال لا يتجلى للعيان بوضوح وجلاء؛ والناس لا تدرك حق الادراك ضرورته للحضارة، ومع ذالك لا يسع هذه الاخيرة عنه استغناء

يتوجب على كل أمرئ أن يبحث بنفسه عن الكيفية التي يمكنه بها أن غدو سعيداً .وكل شي يرتهن بمقدار الاشباع الفعلي الذي يمكن لكل فرد أن ينتظره من العالم الخارجي ، وبمدى قدرته على الاستقلال بنفسه عن هذا العالم ، واخيراً بالقوة المتاحة له كي يبدله وفق رغبته

الانسان ذو المزاج الايروسي في المقام الاول سيضع في المرتبة الاولى العلاقات العاطفية مع الاخرين وسيقدمها على سواها، بينما:سينشد النرجسي ، الميال الى الاكتفاء بذاته ، المتع الاساسية بين تلك التي يستمدها من حياته الداخلية

كل قرار فيه تطرف وشطط سيترتب عليه جزاء يتعرض معه صاحبه للاخطار الملازمة لعدم كفاية كل خطة حياتيه قاصرة

متى ما شئت صوت ولدي الذي يقطن على بعد مئات الكيلومترات ،أو اذا امكنني أن اعلم فور نزول صديقي من الباخرة التي كانت تقله أن رحلته الطويلة والشاقة قد انتهت بسلام ؟ اهو شي تافه أن يكون الطب قد أفلح في تخفيض نسبة الوفيات الاطفال، وفي تقليص اخطار اصابة النفساء بالعدوى تقليصاً يبعث على الدهشة حقاً؟ أهو شي عديم القيمة أن يكون الطب عينه قد نجح في اطالة الامد المتوسط لحياة الانسان المتمدين بعدد غير هين من السنين ؟ انه لفي مستطاعنا أن نضيف الى هذه المحاسن، التي ندين بها لعصر التقدم العلمي والتقني هذا – على كثرة ما يتعرض له من ذم وتحقير–،قائمة بكاملها ... ولكن هوذا صوت النقد المتشائم يعلو ويرتفع ! الصوت الذي يبث في الآذان أن غالبية هذه التسهيلات هي من طبيعة مماثلة لتلك "اللذة الرخيصة" التي يطريها النكته المعروفة التالية :

عرض ساقيك العارية للبرد،خارج الفراش ،فتفوز فيما بعد ب "اللذة" أعادتها الى الدفء ! فلولا السكك الحديدية، التي الغت المسافة، هل كان اولادنا غادروا مسقط رأسهم، وهل كانت ستوجد، من ثم ، حاجة الى التلفون لسماع صوتهم ؟لولا الملاحة عبر المحيطات لما كان صديقي فكر بالسفر، ولكنت استغنيت عن التلغراف للاطمئنان على مصيره . وما الفائدة من تقليص وفيات الاطفال اذا كان هذا التقليص ذاته يفرض علينا ان نضبط انفسنا ضبطاً شديداً في الانسال ، واذا كنا بعد كل شي لا نربي عدداً من الاطفال اكبر من العدد الذي كنا نربيه ايام لم يكن لقواعد حفظ الصحة من وجود، وهذا بينما طرأ من جهة اخرى تعقيد على شروط حياتنا الجنسية في الزواج وانتفى في اغلب الظن التأثير الايجابي للانتخاب الطبيعي ؟ وماذا نجني اخيراً من طول أمد الحياة ،اذا كانت هذه الحياة عينها ترهق كواهلنا بأعباء ومشاق لا تقع تحت حصر ، واذا كانت فقيرة بالافراح ،غنية بالالام ،الى حد نرحب معه بالموت بوصفه خلاصاً سعيداً.ص40ص39

30- يبدو انه بحكم المؤكد اننا لا نشعر بأننا في يسر من امرنا وهناء في ظل حضارتنا الراهنة ،لكن من العسير جداً أن نحكم هل شعر أهل الماضي ،والى اي حد ؛بأنهم أسعد حالاً ، وان نقيمُ بالتالي الدور الذي لعبته شروط حضارتهم .اننا ننزع على الدوام الى تصور البؤس من زاوية موضوعية ،وبعبارة اخرى، ننزع على الدوام الى ان ننتقل بالفكر ،مع حفاظنا على مطالبنا وسياستنا الخاصة ، الى شروط الثقافات القديمة بنتساءل عندئذ عن فرص السعادة أو التعاسة التى كانت ستتاح لنا في ظلها . وهذه الكيفية في النظر الى الامور ،أن تكون موضوعية في الظاهر ،لانها لا تقيم أعتباراً لتحولات الحساسية الذاتية ،فهي في جوهرها ذاتية بكل القدر الممكن، لانها تحل استعداداتنا النفسية محل سائر الاستعدادات الاخرى المجهولة لدينا . على ان السعادة هي ، على كل حال ، شي مغرق في الذاتية .فمبلغا ما بلغ بنا النفور والاشمئزاز من بعض المواقف والاوضاع ، كوضع المحكوم بالاشغال الشاقة في سالف الازمان ،أو وضع الفلاح في حرب الثلاثين عاماً، أو وضع ضحية محاكم التفتيش المقدس ،أو وضع اليهودي المعرض للمجازر الجماعية ، فأنه يتعذر علينا على كل حال أن نضع انفسنا محل اولئك التعساء ، وأن نتكهن بالتشويهات التي انزلتها عوامل نفسية متباينة بقدراتهم على استقبال الفرح والوجع . ص41 ص40

31- لقد ان الاوان للنظر في جوهر تلك الحضارة التي وضعت قيمتها ، بصفتها مصدراً للسعادة ،وضع تشكيك .ولن نطالب بصغية تحددها في قليل من الالفاظ قبل ان تكون قد فزنا ببعض الجلاء من فحصها وتحليلها . حسبنا أن نكرر القول بأن مصطلح الحضارة يشير الى جملة الصنائع والتنظيمات التي يبعدنا تأسيسها عن حالة أسلافنا البهيمية والتي تفيد في غرضين

على نفسها مانعة لغيرها

ربما كان العامل الذي ينيط النجاح به اكثر من اي عامل اخر هو المقدرة المتاحة لجبلتنا النفسية على تكييف وظائفه مع الوسط والبيئة واستخدامها لاغراض اللذة

اما اذا تقدم العمر بالانسان ورأى جهوده الرامية الى السعادة تؤول الى احباط وإخفاق ، فإنه قد يجد عزاء في المتع التي يتيحها له التسمم المزمن ؛ أو أنه قد يقوم بمحاولة تمرد يائسة تعرفه لدينا بأسم الذهان

أن ما نسميه بحضارتنا هو الذي ينبغي ان نحمله الى حد كبير تبعة بؤسنا، وأن التخلي عن هذه الحضارة للعودة الى الحالة البدائية سيكفل لنا قدراً من السعادة اكبر بكثير

ان عامل العداء للحضارة كان من أسباب انتصار المسيحية على الوثنية ، اذا جرى الربط وثيق الربط بينه وبين النفض من قيمة الحياة الارضية كما نادى به المذهب المسيحي

ارتكب الاوربيون مراراً وتكراراً خطأ عزو وخفة الاعباء هذه الى غياب المطالب البالغة التعقيد والناجمة عن الحضارة ، مع ان الفضل فيها كان يعود ،بوجه الاجمال، الى كرم الطبيعة والى جميع التسهيلات التي تتيحها للمتوحشين لتلبية حاجتهم الحيوية

اما اخر تلك الظروف التاريخية فقد قام حين تعلمنا ان نميز اواليات العصاب الذي يهدد بتخريب القسط الضئيل من السعادة الذي فاز به الانسان المتمدين

:حماية الانسان من الطبيعة،وتنظيم علاقات البشر فيما بينهم .ص41

32- فسندكر من بين الوقائع الحضارية الاولى استعمال الادوات ،وتدجين النار، وتشييد المساكن .وتحتل ثانية هذه الوقائع مكاناً رفيعاً باعتبارها انجازاً خارقاً للمألوف ولاسابق له .ص 42

33- لكأنها حكاية من حكايات الجنيات ! وبالفعل ، أن تلك المنجزات والصنائع التى عرف الانسان بفضل علمه وتقنيته كيف يفني بها هذه الأرض التي رأى النور على سطحها أول ما رأه مخلوقاً صغيراً قريباً الى البهمية والتى لا يزال على كل سليل من عرقه ان يدلف اليها في حالة الرضيع الذي لا حول له ولا قوة – يالبوصة الطبيعية –أقول : أن تلك المنجزات والصنائع أن هي الا التحقيق المباشر لجميع–كلا، لمعظم –الاماني التي عبرت عنها حكايات الجنيات تلك . وفي وسع الانسان ،بلا جدال، أن يتعبرها فتوحات للحضارة .ص44

34- **لقد غدا الانسان ، أن جاز القول، ضرباً من "اله رمامي "بنسبة الى الرمامه :جراحة الترميم والترقيع او ما تعرف اليوم بجراحة التجميل،إليها يستأهل بالتأكيد كل اعجاب أن كان مسلحاً بأعضائه المساعدة ، لكن هذه الاعضاء لم تنبت معه وكثيراً ما تسبب له الماً بالغاً** .ص44-45

35- فالمستقبل البعيد سيأتينا ، في هذا الميدان من ميادين الحضارة ، بتقدم جديد ومرموق ،وعلى قدر من الاهمية يتعذر في اغلب الظن التنبؤ به من الان .

36- **أن الانسان المعاصر لا يشعر بأنه سعيد ، مهما قارب أن يكون إلهاً** . ص45

37- حينما نشاهد في هذه المدينة أو تلك الحدائق العامة ، تلك الفسحات الضرورية لها بصفتها مستودعات للهواء الطلق وملاعب ،وقد جملت ايضاً مسالك مزهرة ، أو نرى نوافذ البيوت قد زينت باصص الازهار. أن هذا "الامجدي" الذي نطالب الحضارة بأن تعترف بكامل قيمته ما هو– وهذا ما نتبينه للحال– الا الجمال . ص46

38- نحن نرغب ايضاً في ان نرى علائم النظافة والنظام . اننا لا نكون فكرة رفيعة عن التنظيم المديني لبلدة في الريف الانكليزي ،في زمن شكسبير ،حين نقرأ انه كانت ترتفع ، أمام باب منزل ابويه في ستراتفورد ، كومة كبيرة من الزبل، واننا لنغتاظ ونتكلم عن البربرية اي نقيض الحضارة، حين نشاهد دروب "وبنرفالد" وقد انتثرب فيها مزق الاوراق .أن كل وساخة تبدو لنا متنافية مع حالة التمدين . ثم اننا نسحب على الجسم البشري مطلب النظافة، ويأخذنا العجب أن علمنا ان الملك –الشمس نفسه كانت تفوح منه رائحة كريهة ؛واخيراً نهز رأسنا تعجباً عندما نعاين في ايزولا بيلا الطست الصغير الذي كان نابليون يستخدمه لاغتساله الصباحي . ان استعمال الصابون هو المقياس المباشرلدرجة التحضر . ص46-47 .

39- أن النظام ضرب من " الاكراه على التكرار"، وهذا الاكراه هو الذي يقرر ،مستفيداً من التنظيم الذي يقام ليدوم ، متى وأين وكيف يتوجب فعل هذا الشي او ذلك ؛ وبذلك يوفر الانسان على نفسه جهد التردد وتلمس الطريق متى ما تماثلت الظروف . والنظام ، الذي لا مراء البتة في

ان الانسان يصير عصابياً لانه لا يستطيع ان يتحمل درجة العزوف والزهد التي يتطلبها المجتمع بإسم مثله الاعلى الثقافي ،وخلصوا الى الاستنتاج بأن الغاء تلك المطالب أوتخفيفها يعني رجوعاً الى امكانيات السعادة

الاخيرة تمكنت البشرية في مجال العلوم الفيزيائية والطبيعة وتطبيقاتها التقنية من تحقيق تقدم خارق للمألوف ؛ وقد بسطت بنتيجة ذلك سيطرتها على الطبيعة على نحو ما كان يمكن تصوره قبل اليوم . وسمات هذا التقدم معروفة للجميع الى حد يغني حتى عن تعدادها

أن هذه السيطرة الحديثة العهد على المكان والزمان ، وهذا الاسترقاق لقوى الطبيعة ، وهذا التحقيق لصبوات وأماني لها من العمر الالفة السنين، لم تزد البتة من مقدار المتعة التي ينتظرونها من الحياة

قد كان من المفروض أن يكتفوا بالاستنتاج بأن السيطرة على الطبيعة ليست شرط السعادة الوحيدة ، كما انها ليست الهدف اليتيم لعملية التمدين، لا أن يستنتجوا أن تقدم التقنية غير ذي قيمة بالنسبة الى "اقتصاد" سعادتنا

عرض سافيك العارية للبرد،خارج الفراش ،فتفوز فيما بعد به "اللذة" أعادتها الى الدفء !

ماذا نجني اخيراً من طول أمد الحياة ،اذا كانت هذه الحياة عينها ترهق كواهلنا بأعباء ومشاق لا تقع تحت حصر ، واذا كانت فقيرة بالافراح ،غنية بالالام ،الى حد نرحب معه بالموت بوصفه خلاصاً سعيداً

محاسنه، يسمح للانسان بأن يستعمل على افضل نحو المكان والزمان، وبأن يقتصد في الوقت نفسه في قواه الجسمانية .ومن حقنا ان نفترض أن النظام تجلى من البدء وتلقائياً في الافعال الانسانية ؛وعجيب حقاً الا تكون الامور قد جرت على هذا النحو ،بل الاعجب من ذلك أن يكون الانسان قد أظهر ميلا طبيعاً الى الاهمال واللانظام وعدم الدقة في العمل ، وأن تكون الحاجة قد دعت الى بذل جهود متضاعفة لحمله ، بواسطة التربية ، على الاحتذاء بمثال السماء . يحتل الجمال والنظافة والنظام مكانه خاصة ،بكل تأكيد ، بين مطالب الحضارة. ص47

40- **لكننا لا نستطيع أن نتخيل سمة اكثر تمييزاً للحضارة من القيمة المعلقة على النشاطات النفسية العليا من انتاجات فكرية وعلمية وفنية ، ولا مؤشراً ثقافياً موثوقاً كالدور القيادي المنسوب الى الافكار في حياة البشر.وبين هذه الافكار تحتل الانظمة الدينية أرفع مكانة في سلم القيم .وتصطف الى جانبها في المرتبة الثانية التأملات الفلسفية ، ثم اخيراً ما يمكن أن يسمى ب"الانشاءات المثالية" لبني الانسان ،اي الافكار المتعلقة بإمكان تحسين وضع الفرد أو الشعب أو البشرية قاطبة ،أو المطالب والصبوات التي تنهض فيهم على هذا الاساس** .وكون ابداعات الفكر متداخلة اشد التداخل، لا منفصلة عن بعضها البعض ،يجعل صياغتها والتعبير عنها وأشتقاقها السيكولوجي مهمة عويصة وشائكة .**ان نابض كل نشاط انساني هو الرغبة في الوصول الى هدفين متقاربين ،النافع واللذيذ**، توجب علينا أن نطبق هذا المبدء نفسه على التظاهرات الثقافية المطروحة على بساط النقاش هنا ، على الرغم من ان النشاطين العلمي والفني هما وحدهما اللذان يؤكدان بين هذه التظاهرات صحة ذلك المبدأ .ص48

41- **أن اخر سمات الحضارة ،تتجلى في الكيفية التى تنظم بها علاقات البشر فيما بينهم**. ص49

42- وبحلول السلطان الجماعي محل القوه الفرديه، تخطو الحضارة خطوه حاسمة الى الامام ويكمن الطابع الاساسي في الحضاره هذه المرحله في كون اعضاء الجماعه يحددون امكانات التذادهم بينما كان الفرد المفرد يجهل كل تضيق من هذا النوع. هكذا يكون المطلب الحضاري التالي هو مطلب" العدل" ، اي الاطمئنان الى ان النظام الشرعي الذي تم اقراره لن ينُتهك ابدا لصالح فرد مفرد. ص50

43- **ليست الحريه الفرديه اذن نتاجاً حضارياً. بل كانت، قبل اي حضاره، على اعظم ما يمكن ان تكون، ولكن بلا قيمه ايضاً في غالب الاحيان، لان الفرد لم يكون في وضع يؤهله في الدفاع عنها**.ص 50

44- **حين تشعر جماعه انسانيه بدفقه من الحريه تجيش في اعماقها، فان ذلك يمكن ان يكون تعبيراً عن حركة التمرد ضد ظلم سافر، وهذا بدوره قد يساعد في تحقيق تقدم حضاري جديد. لكن ذلك قد يكون ايضاً نتيجه لاستمرار بعض رواسب من نزعه فرديه غيرمروضه، فيشكل بالتالي قاعده واساساً للميول المناوئة للحضارة**.ص50

45- **لا يبدو ان هناك امكانية لحمل الانسان، كائنة ماكانت الوسيلة ، على مقايضة طبيعته بطبيعة الأرضة(حشرة تحيا حياة جماعية)؛ فهو دائم الميل الى الدفاع عن حقة في الحرية الفردية ضد ارادة المجموع. وكثيرة هي الصراعات التي تخاض ضمن نطاق البشرية**

يبدو انه بحكم المؤكد اننا لا نشعر بأننا في يسر من امرنا وهناء في ظل حضارتنا الراهنة ،لكن من العسير جداً أن نحكم هل شعر أهل الماضي ،والى اي حد ؛بأنهم أسعد حالاً ، وان نقيمُ بالتالي الدور الذي لعبته شروط حضارتهم

يتعذر علينا على كل حال أن نضع انفسنا محل اولئك التعساء ، وأن نتكهن بالتشويهات التي انزلتها عوامل نفسية متباينة بقدراتهم على استقبال الفرح والوجع .

لقد ان الاوان للنظر في جوهر تلك الحضارة التي وضعت قيمتها ، بصفتها مصدراً للسعادة ،وضع تشكيك .ولن نطالبه بصغية تحددها في قليل من الالفاظ قبل ان تكون قد فزنا ببعض الجلاء من فحصها وتحليلها

أن تلك المنجزات والصنائع أن هي الا التحقيق المباشر لجميع- كلا، لمعظم –الاماني التي عبرت عنها حكايات الجنيات تلك . وفي وسع الانسان ،بلا جدال، أن يتعبرها فتوحات للحضارة

لقد غدا الانسان ، أن جاز القول، ضرباً من "اله رهامي "بنسبة الى الرهامه :جراحة الترميم والترقيع او ما تعرفه اليوم بجراحة التجميل،إليها يستأهل بالتأكيد كل اعجاب أن كان مسلحاً بأعضائه المساعدة

أن الانسان المعاصر لا يشعر بأنه سعيد ، مهما قارب أن يكون إلهاً

أن النظام ضرب من " الاكراه على التكرار"، وهذا الاكراه هو الذي يقرر ،مستفيداً من

وتتركز حول مهمة يتيمة :ايجاد توازن مناسب، وقمين بالتالي بتأمين سعادة الجميع ، بين مطالب الفرد وبين المطالب الثقافية للجماعة . ص51

46- **لا مفر ان يلفت انتباهنا التشابه القائم بين سيرورة التحضر وتطور الليبيدو لدى الفرد**.ص52

47- **يشكل تصعيد الغرائز واحده من ابرز سمات التطور الثقافي؛ فهو الذي يسمح للنشاطات النفسيه الرفيعة، العلمية او الفنيه او الايديولوجية، بأن تلعب دوراً بالغ الاهمية في حياة الكائنات المتحضره**.ص52

48- ومن المتعذر ثالثاً واخيراً، و هذه النقطه تبدو اهم النقاط كافة، الا **نفطن الى اي مدى يقوم بناء الحضاره على مبدأ العزوف عن الدوافع الغريزية، والى اي مدى يقتضي هذا البناء الحضاري عدم اشباع:**(قمع او ،كبت، او اواليه مماثله اخرى)**الجامح من الغرائز** .. وهذا "العزوف الحضاري" يتحكم في الشبكة الواسعة للعلاقات الاجتماعيه بين الناس؛ و لقد سبق ان عرفنا انه فيه على وجه التحديد تكمن علة العداء الذي يتوجب على الحضارات كافة أن تكافحه وتقاومه.ص53

-IV-

49- **حين اكتشف الانسان البدائي ان امر تحسين مصيره الارضي قد امسى، بفضل العمل ، بين يديه – بالمعنى الحقيقي لا المجازي- ما عاد في مستطاعه ان يبقى على موقف اللامبالاه وعدم الاكتراث تجاه مبادرة هذا او ذاك من أقرانه الى العمل معه او ضده. فقد تلبس هذا القرين في نظرته قيمه المعاون، وصار من المفيد له ان يعيش معه. وكان الكائن الانساني قد اخذ بعادة تاسيس الاسر منذ عهد ما قبل التاريخ يوم كان ما يزال قريباً من القرد؛ وارجح الظن ان اعضاء اسرته كانوا مساعدية الاوائل .و يمكننا الافتراض بأن تاسيس الاسرة تواقت مع ارتقاء معين لحاجة الاشباع التناسلي ،على اساس ان هذه الحاجه لم تعد تظهر الى حيز الوجود عن طريق الضيف الذي يطرق بابك على حين غرة ثم تنقطع اخباره عنك ردحا طويلاً من الزمن بعد رحيله. وانما على طريقه المستاجر الذي يقيم في المنزل فلا يبرحه. وبذلك توجد لدى الذكر الدافع ليحتفظ بالانثى لديه ، بصورة اعم بالمواضيع الجنسية؛ ولم تجد الاناثي بدورهن مناصاً من البقاء لدى الذكر الاقوى حرصا منهن على عدم الافتراق عن صغارهن، فقد كان بقائهن في صالح هذه المخلوقات الصغيره التي لا حول لها ولا قوه**.ص55

50- **لم يتلاشى الطابع الدوري للعمليه الجنسية، لكن تأثيره على الاثارة الجنسية النفسية سلك بالاحرى الاتجاه المعاكس**.**ويرتبط هذا التحول في المقام الاول بأفول حاسه الشم التي كان الطمث يمتلك بواسطتها القدره على التأثير على نفس الذكر**.**وقد تولجت عندئذ بدور الاحساسات الشمية الاثارات البصرية**.واستطاعت هذه الاخيرة،بخلاف الاولى (فالاثارات الشمية المتقطعة)، **ان تمارس تاثيرا دائماً. وتابوالطمث انما ينجم عن هذا "الكبت العضوي" كاجراء مضاد للرجوع الى الطور تم تجاوزه من التطور**.ص55

51- بيد ان تراجع الاستطاعة التهييجية للرائحة الى مرتبة ثانوية يبدو وكأنه ناجم هو

التنظيم الذي يقام ليدوم ، متى وأين وكيف يتوجب فعل هذا الشي او ذلك ؛ وبذلك يوفر الانسان على نفسه جهد التردد وتلمس الطريق متى ما تماثلت الظروف

لا نستطيع أن نتخيل سمة اكثر تمييزاً للحضارة من القيمة المعلقة على النشاطات النفسية العليا من انتاجات فكرية وعلمية وفنية ، ولا مؤشراً ثقافياً موثوقاً كالدور القيادي المنسوب الى الافكار في حياة البشر

تحتل الانظمة الدينية أرفع مكانة في سلم القيم .وتصطف الى جانبها في المرتبة الثانية التأملات الفلسفية

كون ابداعات الفكر متداخلة اشد التداخل، لا منفصلة عن بعضها البعض ،يجعل صياغتها والتعبير عنها وأشتقاقها السيكولوجي مهمة عويصة وشائكة

ان نابض كل نشاط انساني هو الرغبة في الوصول الى هدفين متقاربين ،النافع واللذيذ، توجب علينا أن نطبق هذا المبدء نفسه على التظاهرات الثقافية المطروحة على بساط النقاش

أن اخر سمات الحضارة ،تتجلى في الكيفية التي تنظم بها علاقات البشر فيما بينهم.

يحلول السلطان الجماعي محل القوه الفرديه، تخطو الحضارة خطوه حاسمة الى الامام ويكمن الطابع الاساسي في الحضاره هذه المرحله في كون اعضاء الجماعه يحددون امكانات التحادهم بينما كان الفرد المفرد يجعل كل تضيق من هذا النوع

نفسه عن كون الانسان قد ارتفع عن الارض وحزم امره على السير واقفاً ،و هي وضعية اظهرت للعيان الاعضاء التناسلية التي كانت محجوبة عن النظر حتى ذلك الحين ، فأوجدت بذلك الحاجة الى حمايتها، فظهر الى الوجود الحياء والحشمة. وعليه ، يكون انتصاب الانسان أو اكتسابه "الوضعيه العمودية" بمثابة البدايه لسيرورة الحضارة التي لم يكن عنها من محيص .وبدءاً من هنا شملت في ما شملت انحطاط أهمية الادراكات الحسية الشمية و عزل النساء في فتره الحيض، وافضت الى هيمنة الادراك الحسية البصرية، و الى وقوع الاعضاء التناسلية تحت مدى النظر، ثم الى استمراريه الاثاره الجنسيه و تأسيس الاسرة، ومن ثم الى عتبة الحضارة الانسانية. وما تقدمنا به لا يعدو ان يكون تخميناً نظرياً، ولكنه على قدر كبير من الاهمية يستأهل معه . التحقق من صحته بدقة عن طريق الحيوانات التي تقترب في شروط حياتها منتهي الاقتراب من شروط حياة الانسان.ص56

52- كذلك نتبين تأثير عامل اجتماعي ظاهر للعيان في المجهود الذي تفرضه الحضاره سعياً وراء النظافة. فلئن وجد هذا المجهود تبريره المتأخر في ضروره التقييد بقواعد علم الصحة، فأنه قد ظهر الى حيز الوجود قبل ان نعرف هذه القواعد. فلدافع الى ان يكون المرء نظيفاً يصدر عن الحاجه الملحة الى ازالة البراز الذي غدا كريهاً بالنسبة الى حاسة الشم .و نحن نعلم ان الوضع يختلف لدى الاطفال الصغار الذين لا يوحي اليهم البراز بأي قرف، بل يبدو كانه ثمين عزيز باعتباره جزءاً من انفسهم منفصلا عن جسمهم. وتبذل التربيه جهداً بالغاً في التعجيل بقدوم المرحله التالية التي يفترض ان يفقد فيها البراز كل قيمه وان يضحي فيها موضع قرف وتقزز. وبالتالي ان يُطرح مثل هذا التدهور في القيمة ما كان ليكون ممكناً لو ان الرائحه النتنه لتلك المواد التي يفرزها الجسم قضت عليها بأن تشاطر المصير الذي آلت اليه الاحساسات الشمية بعد ان نهض الانسان عن الارض. هكذا تكون الايروسية الشرجية اول من يطأطىء الراس أمام ذلك "الكبت العضوي" الذي شق الطريق الى الحضارة. و يتجلى اثر العامل الاجتماعي، الذي تكفل بادخال تحولات جديده على الايروسية الشرجية،في الواقعة التالية، وهي ان الانسان، بالرغم من كل التقدم الذي انجزه ،لا ينفر الا لماماً من رائحه برازه بينما تظل تصدمه و تقززه رائحه براز الغير. اذن فالفرد النجس،اي ذاك الذي لا يخفى عن الانظار برازه، يجرح الاخرين ولا يقيم لهم اعتباراً؛ وهذا المدلول نفسه ينطبق اصلا على الشتائم الدارجه والمقذعة .كذلك ما كان لنا ان نفهم الاستعمال المهين لاسم اوفي صديق للانسان بين الحيوانات لولا خاصيتان اثنتان تعرضان الكلب لازدراء الانسانية: انه اول "حيوان شمي" لايهاب برازه ،وانه لا يخجل ثانياً من وظائفه الجنسية.ص56

53- وقد شكلت قواعد التابو اول شرعية "قانونية" .كانت حياة الناس المشتركة تقوم اذن على الاساس التالي: اولاً إلزام العمل، وهو إلزام أوجدته الضرورة الخارجية ،وثانياً قوة الحب ،على اعتبار أن هذا الاخير يستوجب ألا يحرم الرجل من المرأة ،موضوعه الجنسي ، والا تحرم المرأة من ذلك الجزء المنفصل عن جسمها والذي هو طفلها .ص57

54- ولكن مع المزيد من التقدم والارتقاء لا تعود العلاقة بين الحب والحضارة ملتبسة :فالحب يحارب من جهة اولى مصالح الحضارة، وهذه بدورها تهدده ،من جهة ثانية، بتقييدات مؤلمة.ص-60

55- يبدو هذا العداء المتبادل وكانه محتوم لا مناص منه؛ لكن ليس من اليسير أن ندرك

ليست الحريه الفرديه اذن نتاجاً حضارياً. بل كانت، قبل اي حضاره، على اعظم ما يمكن ان تكون، ولكن بلا قيمه ايضاً في غالب الاحيان، لان الفرد لم يكون في وضع يؤهله في الدفاع عنها

حين تشعر جماعه انسانيه بدفقه من الحريه تجيش في اعماقها، فان ذلك يمكن ان يكون تعبيراً عن حركة التمرد ضد ظلم سافر، وهذا بدوره قد يساعد في تحقيق تقدم حضاري جديد

لا يبدو ان هناك امكانية لحمل الانسان، كائنة ماكانت الوسيلة ، على مقايضة طبيعته بطبيعة الأرضة(حشرة تحيا حياة جماعية)؛ فهو دائم الميل الى الدفاع عن حقه في الحرية الفردية ضد ارادة المجموع

لا مفر ان يلفت انتباهنا التشابه القائم بين سيرورة التحضر وتطور الليبيدو لدى الفرد.

يشكل تصعيد الغرائز واحده من ابرز سمات التطور الثقافي؛ فهو الذي يسمح للنشاطات النفسيه الرفيعة، العلمية او الفنيه او الايديولوجية، بأن تلعب دوراً بالغ الاهمية في حياة الكائنات المتحضره.

حين اكتشف الانسان البدائي ان امر تحسين مصيره الارضي قد امسى، بفضل العمل ، بين يديه – بالمعنى الحقيقي لا المجازي- ما عاد في مستطاعه ان يبقى على موقف اللامبالاه وعدم الاكتراث تجاه مبادرة هذا او ذاك من أقرانه الى العمل معه او ضده.

الكائن الانساني قد اخذ بعادة تاسيس الاسر منذ عهد

دفعة واحدة سببة الدفين. انه يتجلى، اول ما يتجلى في شكل نزاع بين الاسرة وبين الجماعة الارحب نطاقاً التي ينتمي اليها الفرد .وقد سبق ان لاحظنا ان واحد من جهود الحضارةالرئيسية ينصب على تجميع الناس في وحدات كبيرة. لكن الاسرة لا تريد ان تتخلى عن الفرد .فاعضاؤها يزدادون ميلاً و استعداداً للانعزال بأنفسهم عن المجتمع، و يواجهون صعوبة اكبر في الدلوف الى دائرة الحياة الكبيرة، كلما توثقت الوشائج التي توحد بينهم .و ان أقدم طراز للحياة المشتركة من وجهه نظر تطور النوع .وهو الطراز الوحيد الذي يسود ايضاً اثناء طفولة الفرد، يتصدى بالمقاومة للطراز المتمدين الذي تم التوصل اليه في زمن متأخر والذي يسعى الى الحلول محله. وهكذا يغدو الافتراق عن الاسرة بالنسبة الى كل مراهق مهمة؛ مهمة يساعده المجتمع في كثير من الاحيان على ادائها عن طريق طقوس البلوغ واطلاع المراهق على "الاسرار". ويساورنا هنا انطباع بأن هذه الصعوبات ملازمة لكل تطور نفسي؛ في الواقع ،لكل تطورعضوي ايضاً.ص60

56- **أن النساء لا يتأخرن من معاكسة تيار التحضر والتمدين؛ وهن يمارسن تأثيراً ينزع الى ابطائه وإعاقته.وهذا مع ان اولئك النسوة هن انفسهن اللواتي أرسين في البدء اساس الحضارة بفضل مطالب حبهن.ولسوف يأخذن بنصرة مصالح الاسرة والحياة الجنسية،بينما سيفرض العمل التمديني ،الذي سيمسي اكثر فاكثر من اختصاص الرجال، على هؤلاء الاخيرين مهام متعاظمة الصعوبة وسيرغمهم على تصعيد غرائزهم ، وهو تصعيد الذي لا تملك النساء اهلية كبيرة له.**ص 61

57- **حين ترى المرأة نفسها وقد اقصتها متطلبات الحضارة الى المرتبة الثانية، تقف من هذه الحضارة موقفاً عدائياً. ص 61**

58-**بديهي أن الحضارة من جهتها لا تنزع الى توسيع الدائرة الثقافية فحسب، بل تسعى ايضاً،وبالقدرة نفسه،الى تضييق الحياة الجنسية.**ص61

59- لان حجز رغبات الراشد الجنسية المضطرمة لا حظ له في النجاح ما لم يمهد له منذ الطفولة بعمل تحضيري .وسيجري تحظير معظم الاشاعات الخارجة عن النطاق التناسلي بوصفها انحرافات .وضروب الحظر المتنوعة هذه تعبر عن مطلب حياة جنسية مماثلة للجميع ؛التكوين الجنسي الفطري أو المكتسب للكائنات الانسانية ،يحرم عدداً لا يستهان به منها من اللذة الأيروسية،ويغدو بالتالي مصدراً لظلم فادح.لكن الشي الوحيد الذي يبقى حراً وفالتاً من ذلك الحظر ، أي الحب الجنسي والتناسلي الغيري ، يقع بدوره اسير تقييدات جديدة تفرضها الشرعية وأحادية الازواج .ص62

60- طبيعي ان ذلك هو الشطط بعينه .وكل انسان يعلم ان هذه الخطة قد ثبت عدم صلاحها للتطبيق،ولو لاجل قصير .**والحق ان الضعفاء هم وحدهم الذين امكن لهم ان يتكيفوا مع مثل تلك القيود الواسعة على حريتهم الجنسية . اما اصحاب القوة والعزيمة فلم يقبلوا بها الا بمقابل منحهم تعويضاً سيأتي دور الكلام عنه لاحقاً.فالحياة الجنسية للكائن المتحضر تعاني ، بالرغم من كل شيء ، من غبن خطيروخلل فادح؛ وهي توحي الينا احياناً بأنها وظيفة ايله الى الضمور، مثلها في ذلك مثل اسناننا وشعرنا بوصفها اعضاء . ان نفترض ان اهميتها قد تناقصت بصورة ملموسة بصفتها مصدراً للسعادة . وبالتالي بصفتها تحقيقاً لهدفنا الحياتي** .ص63

-٧-

61- **أن الحضارة تقتضي ،فضلا عن التضحيات الجنسية ،تضحيات من طبيعة اخرى** .ص63

ما قبل التاريخ يوم كان ما يزال قريباً من القرد؛ وارجح الظن ان اعضاء اسرته كانوا مساعدية الاوائل

يمكننا الافتراض بأن تاسيس الاسرة تواقت مع ارتقاء معين لحاجة الاشباع التناسلي

توجد لدى الذكر الدافع ليحتفظ بالانثى لديه ، بصورة اعم بالمواضيع الجنسية؛ ولم تجد الاناثي بدورهن مناصاً من البقاء لدى الذكر الاقوى حرصا منهن على عدم الافتراق عن صغارهن

بيد ان تراجع الاستطاعة التهييجية للرائحة الى مرتبة ثانوية يبدو وكأنه ناجم هو نفسه عن كون الانسان قد ارتفع عن الارض وحزم امره على السير واقفاً ،و هي وضعية اظهرت للعيان الاعضاء التناسلية التي كانت محجوبة عن النظر حتى ذلك الحين ، فأوجدت بذلك الحاجة الى حمايتها، فظهر الى الوجود الحياء والحشمة

يكون انتصاب الانسان أو اكتسابه "الوضعيه العمودية" بمثابة البدايه لسيرورة الحضارة التي لم يكن عنها من محيص

ما تقدمنا به لا يعدو ان يكون تخميناً نظرياً، ولكنه على قدر كبير من الاهمية يستأهل معه . التحقق من صحته بدقة عن طريق الحيوانات التي تقترب في شروط حياتها منتهي الاقتراب من شروط حياة الانسان

تكون الايروسية الشرجية اول من يطأطىء الراس أمام ذلك "الكبت العضوي" الذي شق الطريق الى الحضارة

ان الانسان، بالرغم من كل

62- **تقتضي الحضارة بالضرورة علاقات بين عدد كبير من الكائنات** .ص67

63- **ان سلوك الناس ينطوي على فوارق يرجعها علم الاخلاق، من دون أن يقيم اعتباراً للشروط التي ترتهن بها او بتعاليه عليها ،الى فئتين اثنتين :فئة "الخير" وفئة "الشر".فأن الامتثال للقوانين الخلقية العليا سيعني في ما يعني انزال الضرر بالحضارة ،لان في هذا الامتثال تشجيعاً مباشراً على الخبث وسوء النية** . ص72

64- **ليس الانسان بذلك الكائن الطيب السمح، ذي القلب الظمآن الى الحب، الذي يزعم الزاعمون انه لا يدافع عن نفسه الا متى هوجم، وإنما هو على العكس كائن تنطوي معطياته الغريزية على قدر لا يستهان به من العدوانية . وعليه، ليس القريب بالنسبة اليه مجرد مساعد وموضوع جنسي ممكنين، وانما ايضاً موضوع اغراء وإغواء .وبالفعل ، أن الانسان نزاع الى تلبية حاجته العدوانية على حساب قريبه، و إلى استغلال عمله بلا تعويض، والى استعماله جنسياً بدون مشيئته ،والى وضع اليد على املاكه وإذلاله ،والى انزال الإلام به واضطهاده وقتله.الانسان ذئب للانسان**.ص72

65- كان يمكن ايضاً الوصول الى هدفه بوسائل أنعم وأكثر تهذيباً. وبالمقابل تظهر العدوانية في بعض الظروف المؤائمة ، وعلى سبيل المثال حين تشل عن تأثير طاقة القوى الاخلاقية التي كانت تعارض تظاهرات العدوانية وتكفها وتقمعها ؛ تظهر الى حيز الوجود بصورة عفوية وتميط عن الانسان لثام الوحش المفترس الذي لا يقيم من اعتبار البتة لجنسه .ومن يستحضر منا في ذاكرته فظائع هجرات الشعوب الكبرى أو غزوات قبائل الهون ؛ الفظائع التي اقترفها المغول المشاهير بقيادة جنكيز خان أو تيمورلنك، أو تلك التي نجمت عن استيلاء الصليبيين الانقياء على القدس ، ومن دون أن ننسى في نهاية المطاف فظائع الحرب العالمية الاخيرة، فلا مناص له من أن يقبل بتصورنا وأن يعترف بصحة أسُسه. ص73

66- **وبفعل هذه العدوانية الابتدائية التي تؤلب بني الانسان بعضهم على بعضهم الاخر، يجد المجتمع المتحضر نفسه مهدداً باستمرار بالانهيار والدمار. ولا يكفي للمحافظة عليه الاهتمام بالعمل التضامني :فالاهواء الغريزية أقوى من الاهتمامات العقلية .وعلى الحضارة أن تجند كل ما في متناولها كي تحد من العدوانية البشرية وكي تقلص تظاهراتنا عن طريق استجابات نفسية ذات طابع خلقي** .ص73

67- وتحسب هذه الحضارة انه في مستطاعها أن تتلافى الشطط الفظ للقوة الغاشمة باحتفاظها لنفسها بالحق في الاحتكام الى هذه القوة عينها لمواجهة المجرمين ، لكن القانون لا يستطيع أن يطال التظاهرات الأعظم حذراً وإراهافاً وخفاء للعداونية البشرية . **ولا مفر من أن ينتهي الامر بكل واحد منا ذات يوم الى أن يرى ان الامال التي علقها في صباه على أقرانه ما هي الا أوهام ،و بصفتها أوهاماً على وجه التحديد ينفض يديه منها . وفي وسع كل واحد منا أن يشعر بمدى ما يكابد في حياته من شقاء وعذاب بسبب سوء نية قريبه. فلا شك في أنهما لإزمان ، لكن التنافس ليس بالضرورة عداء؛ ومن باب الاساءة الى الاول أن نتخذه ذريعة لتبرير الثاني** . ص74

68-**يعتقد الشيوعيون أنهم اكتشفوا الطريق الى الخلاص من الشر. فالانسان في نظرهم كله طيبة ،ولا يريد سوى الخير لقريبه؛ لكن مؤسسة الملكية الخاصة أفسدت طبيعته .فامتلاك**

التقدم الذي انجزه ،لا ينفر الا لماماً من رائحه برازه بينما تظل تصدمه و تقززه رائحه براز الغير

مع المزيد من التقدم والارتقاء لا تعود العلاقة بين الحب والحضارة ملتبسة :فالحب يحارب من جهة اولى مصالح الحضارة، وهذه بدورها تهدده ،من جهة ثانية، بتقييدات مؤلمة.

أن النساء لا يتأخرن من معاكسة تيار التحضر والتمدين؛ وهن يمارسن تأثيراً ينزع الى ابطائه وإعاقته. وهذا مع ان اولئك النسوة من انفسهن اللواتي أرسين في البدء اساس الحضارة بفضل مطالب حبهن

حين ترى المرأة نفسها وقد اقصتها متطلبات الحضارة الى المرتبة الثانية، تقف من هذه الحضارة موقفاً عدائياً.

بديهي أن الحضارة من جهتها لا تنزع الى توسيع الدائرة الثقافية فحسب، بل تسعى ايضاً، وبالقدرة نفسه،الى تضييق الحياة الجنسية

حجز رغبات الراشد الجنسية المضطرمة لا حظ له في النجاح ما لم يمهد له منذ الطفولة بعمل تحضيري

الحق ان الضعفاء هم وحدهم الذين امكن لهم ان يتكيفوا مع مثل تلك القيود الواسعة على حريتهم الجنسية . اما اصحاب القوة والعزيمة فلم يقبلوا بها الا بمقابل منحهم تعويضاً

الحياة الجنسية للكائن المتحضر تعاني ، بالرغم من كل شيء ، من غبن خطير وخلل فادح؛ وهي توحي الينا احياناً بأنها

الاملاك يقلد القوة لفرد بعينه ويبذر فيه بذرة النزوع الى اساءة معاملة قريبه .ومن ثم فان من حرم من الملك لا بد ان يصبح معادياً للمالك وأن يثور عليه .ويوم تلغي الملكية الخاصة وتؤول جميع الثروات الى مشاع مشترك ويغدو في مستطاع كل امرئ أن يشارك في المباهج التي توفرها، ستزول العداوة ونية الايذاء السائدتان بين البشر.ولما كانت الحاجات جميعا ستجري تلبيتها ،فلن يعود للمرء من داع الى أن يرى في الآخر عدواً، وسيمتثل الجميع بطوع ارادتهم وملء اختيارهم لضرورة العمل .وليس النقد الاقتصادي للنظام الشيوعي من شأني ،ولا يسعني أن أنظر هل من مناسب وهل من المفيد إلغاء الملكية الخاصة. أما فيما يتعلق بمسلمته السيكولوجية ، لمن المباح لي على ما أعتقد أن أرى فيها وهما لا يقوم على اساس من واقع. **صحيح أن الغاء الملكية الخاصة يجرد العداونية البشرية وما ينجم عنها من لذة من واحدة من ادواتها ،بل من اداة قوية،لكنها لا يجردها من اقوى ادواتها.**ص74 ص75

69-العداونية لم تخلقها الملكية بل كانت تسود بلا منازع وبلا حدود تقريباً في أزمنة بدائية كانت الملكية فيها غير ذات شأن ؛ولا تكاد غريزة الملكية تفقد لدى الاطفال شكلها الشرجي البدائي حتى تتجلى العدواة لديهم .ص75

70- تشكل العدوانية الرسابة التي تتفل في قاع جميع عواطف المحبة أو الحب التي تربط بين البشر، ماخلا- ربما –عاطفة واحدة : عاطفة الأم تجاه ابنها الذكر. فحتى **لو ألغي والحالة هذه حق الفرد في تملك الخيرات المادية، فسيبقى الامتياز الجنسي الذي ينبع منه بالضرورة أعنف التحاسد وأشد التباغض بين كائنات تحتل مواقع مختلفة في سلم واحد .**ثم حتى **لو الغي هذا الامتياز الاخير باطلاق كامل الحرية للحياة الجنسية ،وبالقضاء بالتالي على الاسرة ، تلك الخلية المنبته للحضارة، لم امكن البتة.التكهن بالدروب الجديدة التي سيكون في مقدور الحضارة اختيارها لتطورها .ص75**

71- ان من ذاق في حداثته أهوال الفقر وعانى من كبرياء الاغنياء وانعدام الأحساس لديهم ،لا يمكن قطعاً أن يتهم أو يشتبه في عد تفهمه وعدم تقبله للجهود المبذولة لمحاربة تفاوت الثروات وما يترتب عليه. وفي الحقيقة، اذا كان هذا الكفاح يبغي التذرع بالمبدأ المجرد ، القائم على أساس العدل ، والقائل بتساوي جميع البشر فيما بينهم، فلن يكون اسهل من الرد عليه بأن الطبيعة الاولى قد اقترفت مظالم لا علاج لها بما أوجدته من تفاوت اصيل في القدرات النفسية والعقلية الموزعة على البشر . ص75

72- وتظل هناك على الدوام إمكانية لتوحيد أعداد أكبر فأكبر من الناس بروابط الحب ، ولكن بشرط أن يبقى غيرهم خارج عدادهم كي يتلقوا الضربات .وقد سبق لي الاهتمام بالظاهرة المتمثلة في أن المجتمعات المتجاورة، بل المتصاهرة تتحارب فيما بينها وتتبادل الهزء والسخرية ؛ وعلى سبيل المثال الاسبان والبرتغاليون ، ألمان الشمال وألمان الجنوب ،الانكليز والاسكوتلنديون ،الخ.وقد اطلقت عليها اسم "نرجسية الفروق الصغيرة". ص76

73- نرى كيف أن محاولة ارساء الاسس لحضارة شيوعية جديدة في روسيا تجد نقطة ارتكازها السيكولوجية في اضطهاد البورجوازيين. وكل ما هنالك اننا نتساءل بقلق عما سيفعله السوفييت بعد أبادة بورجوازييهم عن بكرة أبيهم. ص77

وظيفة ايله الى الضمور، مثلما في ذلك مثل اسناننا وشعرنا بوصفها اعضاء

ان سلوك الناس ينطوي على فوارق يرجعها علم الاخلاق، من دون أن يقيم اعتباراً للشروط التي ترتهن بها او بتعاليه عليها ،الى فئتين اثنتين : فئة "الخير" وفئة "الشر

أن الامتثال للقوانين الخلقية العليا سيعني في ما يعني انزال الضرر بالحضارة ،لان في هذا الامتثال تشجيعاً مباشراً على الخبث وسوء النية

ليس الانسان بذلك الكائن الطيب السمح، ذي القلب الظمآن الى الحب، الذي يزعم الزاعمون انه لا يدافع عن نفسه الا متى هوجم، وإنما هو على العكس كائن تنطوي معطياته الغريزية على قدر لا يستهان به من العدوانية

تظهر العدوانية في بعض الظروف المؤاتية ، وعلى سبيل المثال حين تشل عن تأثير طاقة القوى الاخلاقية التي كانت تعارض تظاهرات العدوانية وتكفها وتقمعها ؛ تظهر الى حيز الوجود بصورة عفوية وتميط عن الانسان لثام الوحش المفترس الذي لا يقيم من اعتبار البتة لجنسه

بفعل هذه العدوانية الابتدائية التي تؤلب بني الانسان بعضهم على بعضهم الاخر، يجد المجتمع المتحضر نفسه مهدداً باستمرار بالانهيار والدمار. ولا يكفي للمحافظة عليه الاهتمام بالعمل التضامني :فالاهواء الغريزية أقوى من الاهتمامات العقلية

على الحضارة أن تجند كل ما في متناولها كي تحد من العدوانية البشرية وكي تقلص

74- لماذا يعسر على الانسان غاية العسر أن يجد في ظلها سعادته . وبهذا المعنى، كان الانسان البدائي محظوظ القسمة في الواقع لانه ما كان يعرف أي تقييد لغرائزه.وبالمقابل، كان اطمئنانه الى التمتع مطولاً بمثل هذه السعادة واهياً للغاية.وقد **قايض الانسان المتحضر قسطاً من السعادة الممكنة بقسط من الامان. لكن لا ننس أن الزعيم في الاسرة البدائية كان هو وحده الذي يتمتع بتلك الحرية الغريزية؛ أما الباقون كانوا يقاسون في أغلال الرق من اضطهاده** .ص77

75- تنبئنا المعلومات الادق والأصح التي توفرت لنا عبر أعراف المتوحشين الحاليين بأنه ليس من داع البتة لنحسدهم على حرية حياتهم الغريزية: فقد كانو خاضعين، بالفعل،لقيود من نوع اخر، لكن أشد صرامة-ربما-من تلك التي تغل المتحضر المعاصر. ص77

76- **نجد أنفسنا مكرهين على تقليب النظر ايضاً في الخطر الذي تثيره حالة خصوصية يمكن أن نسميها "بؤس الجماهير السيكولوجي ". فهذا الخطر يصبح داهماً حين تكون العلة الرئيسية لقيام الرباط الاجتماعي تشبثة أعضاء المجتمع ببعضهم بعضاً، بينما لا نتمكن، من جهة مقابلة ، بعض الشخصيات التي لها سجية القادة والزعماء من اداء الدور الهام الذي يفترض أن تطلع به في تكوين الجمهور .لعل وضع اميركا الراهن تيتح فرصة طيبة لدراسة هذا الاذى المخيف النازل بالحضارة . وهنا أقاوم اغراء الاندفاع في انتقاد الحضارة الأميركية، حرصاً مني على عدم أعطاء انطباع بأنني أبغي انا نفسي استعمال طرائق أميركية**.ص78

-VI-

77- أن نظرية الغرائز هي ، من بين سائر المدركات والمفاهيم التي طورها ببطء مذهب التحليل النفسي ، تلك التي استوجبت الحد الاقصى من الجهد والكد في تلمس الطريق.ص79

78- **وجدت نقطة ارتكاز اولى في فرضية المشاعر الفيلسوف شيللر التي تقول أن الجوع " الجوع والحب". ينظمان حركة عجلات هذا العالم.** ص80

79- ولتحديد طاقة الغرائز الاخيرة، وحدها دون غيرها ، ابتكرتُ مصطلح الليبيدو.على هذا النحو قام التنازع بين غرائز بقاء الأنا من جهة اولى، وبين غرائز الليبيدية المتجهة نحو الموضوع ، أو دوافع الحب الغريزية، بأوسع معاني الكلمة، من الجهة الثانية .

80- فما دامت لعبة القسوة قابلة لأن تحل محل لعبة المحبة، فالسادية تنتمي بلا مراء الى الحياة الجنسية .وبدا العصاب وكأنه عاقبة العراك بين الاهتمام بالمحافظة على الذات وبين متطلبات الليبيدو ، ذلك العراك الذي خرج منه الأنا منتصراً ، لكن بعد تسديد الثمن الآماً حادة وعزوفا وزهداً.ص 80

81-أمسى ادخال مفهوم النرجسية امراً حاسماً ، علماً بأن هذا المصطلح يشير الى اكتشاف واقع أن "الأنا" مجهز هو الاخر بالليبيدو ،وأنه مكان منشئه، وانه سيبقى الى حد ما مقره العام ومركز قيادته.ص81

تظاهراتنا عن طريق استجابات نفسية ذات طابع خلقي

تحسب هذه الحضارة انه في مستطاعها أن تتلافى الشطط الفظ للقوة الغاشمة باحتفاظها لنفسها بالحق في الاحتكام الى هذه القوة عينها لمواجهة المجرمين ، لكن القانون لا يستطيع أن يطال التظاهرات الأعظم حذراً وإراهافاً وخفاء للعداونية البشرية

لا مفر من أن ينتهي الامر بكل واحد منا ذات يوم الى أن يرى ان الامال التي علقها في صباه على أقرانه ما هي الا أوهام ،و بصفتها أوهاماً على وجه التحديد ينفض يديه منها

في وسع كل واحد منا أن يشعر بمدى ما يكابد في حياته من شقاء وعذاب بسبب سوء نية قريبه

يعتقد الشيوعيون أنهم اكتشفوا الطريق الى الخلاص من الشر. فالانسان في نظرهم كله طيبة ،ولا يريد سوى الخير لقريبه؛ لكن مؤسسة الملكية الخاصة أفسدت طبيعته

يوم تلغي الملكية الخاصة وتؤول جميع الثروات الى مشاع مشترك ويغدو في مستطاع كل امرئ أن يشارك في المباهج التي توفرها، ستزول العداوة ونية الايذاء السائدتان بين البشر.

فيما يتعلق بمسلمته السيكولوجية ، لمن المباح لي على ما أعتقد أن أرى فيها وهما لا يقوم على اساس من واقع

العداونية لم تخلقها الملكية بل كانت تسود بلا منازع وبلا حدود تقريباً في أزمنة بدائية كانت الملكية فيها غير ذات

82- ولم يكن ثمة من داع للكف عن تأويل ضروب العصاب التحويلي بوصفها محاولات من قبل الأنا لأتقاء الجنسية والأحتماء منها . بان الغرائز يمكن ان لا تكون جميعها من طبيعة واحدة. ص81

83- الى جانب الغريزة الايروسية توجد اذن غريزة موت؛ وفعلهما المتضافر أو المتناحر يسمح بتفسير ظاهرات الحياة. ص82

84- على هذا الاساس ضرباً من هذا التمازج ، الفائق الغني اصلاً،بين دافع الحب ودافع التدمير ؛كذلك فأن نقيض السادية، أي المازوخية ،يقدم لنا تمازجاً بين ذلك الميل الى التدمير، الملتفت نحو الداخل، وبين الجنسية.

85- اني لاعلم مدى انتشار النزعة الى عزو كل مايتم اكتشافه من جوانب خطرة حاقدة في الحب الى ثنائية قطبية أصلية موائمة على ما يزعم لطبيعته الخاصة. ص83

86- انني أقر باننا رأينا على الدوام في السادية والمازوخية تظاهرات ، مصبوغة بصبغة إيروسية قوية ، لغريزة التدمير الملتفتة نحو الخارج أو نحو الداخل؛ لكن ما عاد في وسعي أن افهم كيف يمكن لنا أن نبقى مغمضي العيون ازاء كلية حضور العدوان والتدمير المجردين من الطابع الايروسي ، وأن نتهاون في منحهما المكانة التى يستاهلان في تأويل ظاهرات الحياة (وأن يكن الظمأ الى التدمير، المتجه الى الداخل، لا يقع في شطره الاكبر تحت اي ادراك متميز حين لا يكن مصبوغاً بالايروسية). وانه لتحضرني هنا ذكرى مقاومتي الشخصية للتصور القائل بوجود غريزة تدمير لدى ظهروه الأول في الادب التحليلي النفسي. ص83

87- أن اولئك الذين يؤثرون حكايات الجن يصمون اذانهم حين نحدثهم عن ميل الانسان الفطري الى "الاذية" ،والعداون، والتدمير، وبالتالي الى القسوة والوحشية. ص84

88- ان العداونية تمثل استعداداً غريزياً بدائياً ومستقلاً بذاته لدى الكائن البشري ، أن الحضارة تلاقي فيها اخطر معوقاتها . ص86

89-ما يشبه الحدس بأن الحضارة سيرورة قائمة بذاتها وتجري فوق الانسانية ، ونحن ما نزال الى الان تحت سلطان ذلك الانطباع .

90- لكن تلك السيرورة انما تعمل في خدمة الإيروس، وتريد بهذه الصفة أن تجمع افراداً مفردين؛ثم اسراً ، ثم قبائل أو شعوباً أو أمماً ، في وحدة رحبة واسعة :الانسانية بالذات .وعداوة الفرد للمجموع والمجموع للفرد يعارضان برنامج الحضاره هذا .86

-VII-

91- ما الوسائل التي تلجأ اليها الحضارة لتكف العدوان وتنهي عنه ، ولتجرد هذا الخصم من قدرته على الأذية، بل ربما كي تصفيه ؟.ص88-89

92- " الحضارة اذن تسيطر على الاندفاع العداوني الخطر لدى الفرد بإضعافها هذا الاخير،

شأن ؛ولا تكاد غريزة الملكية تفقد لدى الاطفال شكلها الشرجي البدائي حتى تتجلى العدوانة لديهم

ان من ذاق في حداثته أهوال الفقر وعانى من كبرياء الاغنياء وانعدام الأحساس لديهم ،لا يمكن قطعاً أن يتهم أو يشتبه في عد تفهمه وعدم تقبله للجهود المبذولة لمحاربة تفاوت الثروات وما يترتب عليه

هناك على الدوام إمكانية لتوحيد أعداد أكبر فأكبر من الناس بروابط الحب ، ولكن بشرط أن يبقى غيرهم خارج عدادهم كي يتلقوا الضربات

نرى كيف أن محاولة ارساء الاسس لحضارة شيوعية جديدة في روسيا تجد نقطة ارتكازها السيكولوجية في اضطهاد البورجوازيين

قايض الانسان المتحضر قسطاً من السعادة الممكنة بقسط من الامان. لكن لا ننس أن الزعيم في الاسرة البدائية كان هو وحده الذي يتمتع بتلك الحرية الغريزية؛ أما الباقون كانوا يقاسون في أغلال الرق من اضطهاده

وجدت نقطة ارتكاز اولى في فرضية المشاعر الفيلسوف شيللر التي تقول أن الجوع " الجوع والحب". ينظمان حركة عجلات هذا العالم

لتحديد طاقة الغرائز الاخيرة، وحدها دون غيرها ، ابتكرت مصطلح الليبيدو.على هذا النحو قام التنازع بين غرائز بقاء الأنا من جهة اولى، وبين غرائز الليبيدية المتجهة نحو الموضوع ، أو دوافع الحب الغريزية، بأوسع معاني الكلمة،

بتجريدة اياه من سلاحه، وبوضعها أياه تحت مراقبة سلطة كامنة فيه ، شبيهة بالحامية التي توضع في مدينة تم فتحها.ص89

93- **يشعر المرء بأنه مذنب "المتدينون يقولون : بانه ارتكب خطيئة) اذا اتى أمراً يقر بأنه "شر".ولكن الذي يقر بانه كان فقط قد عقد النيه عليه، أن يعتبر نفسه هو الاخر مذنباً**.ص90

95- **ففي كثير من الاحيان لا يكمن الشر البتة في ما هو ضار وخطر بالنسبة الى الأنا، بل على العكس ،في ماهو مشته ومستحب له وما يغدق عليه الذة** .فان اتفق له أن أضاع حب الشخص الذي يرتهن أمره به ، أضاع في الوقت نفسه حمايته من شتى أنواع الاخطار، وكان الخطر الاعظم الذي يعرض نفسه له أن يبرهن له ذلك الشخص ذو القدرة الكلية على تفوقه وغلبته في شكل عقوبة .هكذا يكون الشر في أصله الاول هو ما نتعرض بسببه للتهديد بالحرمان من الحب؛ وإنما خوفاً من مكابدة هذا الحرمان يتوجب علينا تحاشي اقتراف ذلك الشر. ص90

97- **أن الضمير المتشدد والمتيقظ هو بالضبط السمة المميزة للإنسان الاخلاقي، واذا اعتبر القديسون أنفسهم خطاة، فانهم لأ يفعلون ذلك اعتباطاً وبلا سبب ، أن اخذنا بعين الاعتبار التجارب والاغواءات التي يتعرضون لها على نطاق واسع لتلبية دوافعهم الغريزية** . ص92

98- **ما أن تحدق بإلانسان مصيبة حتى ينكفئ على ذاته ، ويقر بخطاياه ، وبعيد توكيد متطلبات ضميره ، ويفرض على نفسه ضروباً من الحرمان، ويعاقب ذاته بإلزامها بالتوبة والتكفير**. ولقد سلكت شعوب برمتها هذا السلوك عينه وما تزال الى اليوم تسلكه. ومن اليسير تفسير ذلك اذا رجعنا القهقرى الى الطور الطفلي البدائي للضمير، ذلك الطور الذي لا يضمحل بعد استدماج السلطة في الأنا الأعلى، وإنما يستمر على العكس بجانب هذا الاخير ووراءه .**فالقدر يغدو بديلاً عن سلطة الاب ؛فاذا ما نابتنا النوائب ، كان ذلك معناه أننا لم نعد نحظى بحب تلك السلطة الكلية القدرة** .ص93

99- **الانسان يعزف عن أشباعات معينة حتى لا يخسر حب تلك السلطة** .فاذا ما فعل ذلك يكون ، إذا جاز التعبير، قد برأ ذمته حيالها؛ ولا يعود يجوز بعد ذلك أن يبقى أثر من الشعور بالذنب . لكن الحال تختلف بالنسبة الى القلق ازاء الأنا الأعلى. فالعزوف لا يأتي هذه المرة بالغوث الكافي، لأن الرغبة تبقى ولا يكون ثمة من سبيل لأخفاء وجودها عن الأنا الاعلى. ص94

100- أن هذه العلاقات لفي غاية التعقيد ولفي غاية الأهمية ايضاً بحيث لن أتردد ،بالرغم من خطر التكرار، في تناولها مجدداً من وجهة نظر مغايرة .أن تعاقبها في الزمن لهو كالتالي اذن: بادئ ذي بدء العزوف عن الدوافع الغريزي ، نتيجة القلق من عدوان السلطة الخارجية – وهو قلق يقوم في الحقيقة على أساس الخوف من فقدان الحب لان الحب يحمي من ذلك العدوان الذي يتمثل في العقاب ؛ وبعد ذلك توطيد السلطة الداخلية ،والعزوف بنتيجة القلق حيال هذه الاخيرة، وهو قلق أخلاقي. وفي الحالة الثانية، يتكافأ العمل السيء والنية السيئة ، فيكون الشعور بالذنب والحاجة الى القصاص . فالعدوان عن طريق الضمير استمرار للعدوان عن طريق السلطة .ص95

101- **أن الضمير هو نتيجة العزوف عن الدوافع الغريزية**. ص96

من الجهة الثانية

ما دامت لعبة القسوة قابلة لأن تحل محل لعبة المحبة، فالسادية تنتمي بلا مراء الى الحياة الجنسية

لم يكن ثمة من داع للكف عن تأويل ضروب العصاب التحويلي بوصفها محاولات من قبل الأنا لأتقاء الجنسية والأحتماء منها

الى جانب الغريزة الايروسية توجد اذن غريزة موت؛ وفعلهما المتضافر أو المتناحر يسمح بتفسير ظاهرات الحياة

انني أقر باننا رأينا على الدوام في السادية والمازوخية تظاهرات ، مصبوغة بصبغة إيروسية قوية ، لغريزة التدمير الملتفتة نحو الخارج أو نحو الداخل

ما عاد في وسعي أن افهم كيف يمكن لنا أن نبقى مغمضي العيون ازاء كلية حضور العدوان والتدمير المجردين من الطابع الايروسي ، وأن نتهاون في منحهما المكانة التي يستاهلان في تأويل ظاهرات الحياة

أن اولئك الذين يؤثرون حكايات الجن يصمون اذانهم حين نحدثهم عن ميل الانسان الفطري الى "الاذية" والعداون، والتدمير، وبالتالي الى القسوة والوحشية

ان العداونية تمثل استعداداً غريزياً بدائياً ومستقلاً بذاته لدى الكائن البشري

الحضارة اذن تسيطر على الاندفاع العداوني الخطر لدى الفرد بإضعافها هذا الاخير، بتجريدة اياه من سلاحه، وبوضعها أياه تحت مراقبة سلطة كامنة فيه

102- **أن عدوائية الضمير الاولية هي رسابة من صرامة السلطة الخارجية ، وأنه لا دخل لها بالتالي بظاهرة العزوف.** ص96

103- **أن الضمير يتاتى في الأصل من قمع عدوان، ثم تعززه فيما بعد اشكال جديدة من قمع مماثل .**

104- **لان عدوانية الطفل الانتقامية ستتخذ مقياساً لها ايضاً العداون القصاصي الذي يتوقع الطفل أن يحل به من جانب الاب. بيد أن التجربة تعلمنا أن صرامة الأنا الأعلى الذي يكونه طفل من الاطفال لا تعكس البتة صرامة المعاملات التي قاسى منها.فالاولى تبدو مستقلة عن الثانية، على اعتبار أن الطفل الذي انشئ على اللين والرقة اللامتناهين يمكن أن يكون مع ذلك ضميراً أخلاقياً بالغ التشدد . ص98**

105 - **نقتنع بأن صرامة التربية تمارس بدروها تأثيراً قوياً على تشكيل الأنا الاعلى الطفلي.**ص 98

106- فلئن ساور المرء الشعور بالذنب بعد افتراقه الشر ولاقترافه أياه ،فمن الأنسب أن يسمى ب "تبكيت الضمير" .وينجم التبكيت عن فعل أثيم ، ويفترض بالطبع وجود ضمير،وأستعداداً مسبقاً للأحساس بالخطأ حتى قبل ارتكاب ذلك الفعل . اذا كان الشعور اللانساني بالذنب يرجع في أصله الى مصرع الاب البدائي ،فهذه الحالة هي فعلا حالة :تبكيت": وجود أسبقية الضمير والشعور بالذنب على الفعل الذي يحن بصدده.ص100

107- لقد كان ذلك التبكيت نتيجة الازدواجية البدائية للمشاعر تجاه الاب :فقد كان الابناء يبغضونه ،ولكنهم كانوا يحبونه ايضاً .ص 100

108- **وللخصومة السرمدية بين الحب والرغبة في الموت . ولعل توتر ذلك الشعور بالذنب سيبلغ ذات يوم ،بفضل الحضارة ،مستوى شاهق الارتفاع فلا يعود في مكنة الفرد أن يطبقة الا ببالغ الصعوبة .**ص102

109- **قد قيض لبعض البشر أن يستشفوا بالفعل ، بلا عناء ، أعمق المعارف من دوامة مشاعرهم الذاتية ،بينما يترتب علينا نحن ، حتى نصل الى ذلك، أن نشق طريقنا بتلمس دائب، متخبطين في أقسى ضروب الشك والحيرة.**ص102

-VIII-

110- **لقد كان قصدنا رغم كل شيئ أن نصور الشعور بالذنب على أنه المشكلة الرئيسية لتطور الحضارة ، وأن نبين ،فضلا عن ذلك ، لماذا يتوجب دفع فاتورة تقدم هذه الاخيرة بنقصان في السعادة ناجم عن تعزيز ذلك الشعور. ص103**

111-**هكذا يجعل الضمير منا جميعاً جبناء ،شكسبير ،"هاملت".**ص103

في كثير من الاحيان لا يكمن الشر البتة في ما هو ضار وخطر بالنسبة الى الأنا، بل على العكس ،في ماهو مشتهى ومستحب له وما يغدق عليه الذة

أن الضمير المتشدد والمتيقظ هو بالضبط السمة المميزة للإنسان الاخلاقي

ما أن تحدق بالإنسان مصيبة حتى ينكفئ على ذاته ، ويقر بخطاياه ، ويعيد توكيد متطلبات ضميره ، ويفرض على نفسه ضروباً من الحرمان، ويعاقب ذاته بإلزامها بالتوبة والتكفير.

من اليسير تفسير ذلك اذا رجعنا القهقرى الى الطور الطفلي البدائي للضمير، ذلك الطور الذي لا يضمحل بعد استدماج السلطة في الأنا الأعلى، وإنما يستمر على العكس بجانب هذا الاخير ووراءه

الانسان يعزف عن أشباعات معينة حتى لا يخسر حب تلك السلطة .فاذا ما فعل ذلك يكون ، إذا جاز التعبير، قد برأ ذمته حيالها؛ ولا يعود يجوز بعد ذلك أن يبقى أثر من الشعور بالذنب

أن الضمير هو نتيجة العزوف عن الدوافع الغريزية

أن عدوائية الضمير الاولية هي رسابة من صرامة السلطة الخارجية ، وأنه لا دخل لها بالتالي بظاهرة العزوف

أن الضمير يتاتى في الأصل من قمع عدوان، ثم تعززه فيما بعد اشكال جديدة من قمع مماثل

التجربة تعلمنا أن صرامة الأنا الأعلى الذي يكونه طفل من

112-وفي واحد من تلك الامراض ، العصاب الوسواسي ، يفرض الشعور بالذنب نفسه فرضاً عنيفاً على الوعي ، ويهيمن على الجدول السريري وعلى حياة المريض على حد سواء ، ولا يكاد يدع شيئاً تقوم له قائمة بجانبه. ص104

113-إن اخفاء الدور الذي ستلعبه الجنسية في حياة الشبان عم هؤلاء الشبان انفسهم ليس الغلطة الوحيدة التي يمكن عزوها الى التربية المعاصرة .فمن اخطاء هذه التربية ايضاً انها لا تحضرهم ولا تهيئهم للعداونية المقدر عليهم أن يكونوا موضوعها .فهي اذ تترك الشبية تستبق الحياة بمثل ذلك التوجيه السيكولوجي الخاطئ ،تسلك سلوك من يرتئي تجهيز الناس لبعثة قطبية بملابس صيفية وبخرائط للبحيرات الايطالية. وجلي للعيان انها بذلك تسئ استغلال التعاليم الاخلاقية.ص104

114- في العصاب الوسواسي ايضاً ، انماطاً من المرضى لا يعون شعورهم بالذنب ، أو لا يحسون به على أنه منغص مؤلم ، أو على انه ضرب من الحصر ،الا في اللحظة التي يعيقهم فيها عائق عن تنفيذ بعض الافعال. ص105

115- **ولا يجوز الكلام عن ضمير أخلاقي قبل ملاحظة وجود أنا أعلى ؛ أما فيما يتعلق بالشعور بالذنب فلا مناص من التسليم بأنه لا يوجد قبل الأنا ألاعلى ،وبتالي قبل الضمير الاخلاقي ايضاً.** ص107

116- **أن كل ضرب من الحرمان ،كل إعاقة لاشباع غريزي، يؤدي ويمكن أن يؤدي الى تفاقم في حدة الشعور بالذنب** . ص109

117- **أثناء عملنا التحليلي فوجئنا بأكتشافنا أن كل عصاب قد يشتمل على قسط من الشعور اللاواعي بالذنب ، ذلك الشعور الذي يجعل بدوره الاعراض المرضية أكثر تباثاً وصلابة بإستخدامه إياها كعقوبات** .يبدو إذن انه من المستحسن التقدم بالصيغة التالية : **حين يسلس دافع من الدوافع الغريزية قيادة للكبت ، تتحول عناصره الليبدية الى أعراض مرضية ، وعناصره العداونية الى الشعور بالذنب** . ص110

118- أن سيرورة الحضارة هي استجابة لذلك التغير الطارئ على السيرورة الحياتية تحت تأثير مهمة فرضها الإيروس وأعطتها صفة الاستعجال انانكية (الضرورة الواقعية) ،أعني بها مهمة اتحاد كائنات بشرية مفردة في وحدة مجتمعية متأزرة بقوة علاقاتها الليبيدية المتبادلة. لكن لو أمعنا النظر في العلاقات بين سيرورة حضارة البشرية وسيرورة تطور المفرد أو تربيته، لما ترددنا كثيراً في الاعلان عن انهما كلتيهما من طبيعة متشابهة للغاية – وأن لم تكونا سيرورتين متماثلتين–على الرغم من انطباقهما على مواضيع متباينة . **أن حضارة الجنس البشري هي بالطبع تجريد من نوع ارقى من تطور الفرد، وبالتالي من الاصعب أدراكها بصورة عينية .ومن الجهة الثانية تكوين وحدة جماعية بمؤازرة افراد عديدين** .ص111

119- **يبدو تطور الفرد حصيلة تداخل ميلين: التطلع الى السعادة الذي نسميه عادةً "بالانانية"،والتطلع الى الاتحاد بسائرأعضاء المجتمع الذي نصفه ب "الغيرية"**. ص111

الاطفال لا تعكس البتة صرامة المعاملات التي قاسى منها

نقتنع بأن صرامة التربية تمارس بدروها تأثيراً قوياً على تشكيل الأنا الاعلى الطفلي.

قد قيض لبعض البشر أن يستشفوا بالفعل ، بلا عناء ، أعمق المعارف من دوامة مشاعرهم الذاتية ،بينما يترتب علينا نحن ، حتى نصل الى ذلك، أن نشق طريقنا بتلمس دائب، متخبطين في أقسى ضروب الشك والحيرة

لقد كان قصدنا رغم كل شيء أن نصور الشعور بالذنب على أنه المشكلة الرئيسية لتطور الحضارة ، وأن نبين ،فضلا عن ذلك ، لماذا يتوجب دفع فاتورة تقدم هذه الاخيرة بنقصان في السعادة ناجم عن تعزيز ذلك الشعور

في واحد من تلك الامراض ، العصاب الوسواسي ، يفرض الشعور بالذنب نفسه فرضاً عنيفاً على الوعي ، ويهيمن على الجدول السريري وعلى حياة المريض

إن اخفاء الدور الذي ستلعبه الجنسية في حياة الشبان عم هؤلاء الشبان انفسهم ليس الغلطة الوحيدة التي يمكن عزوها الى التربية المعاصرة .فمن اخطاء هذه التربية ايضاً انها لا تحضرهم ولا تهيئهم للعداونية المقدر عليهم أن يكونوا موضوعها

في العصاب الوسواسي ايضاً ، انماطاً من المرضى لا يعون شعورهم بالذنب ، أو لا يحسون به على أنه منغص مؤلم ، أو على انه ضرب من الحصر ،الا في اللحظة التي يعيقهم فيها عائق عن تنفيذ بعض الافعال

120–**كما يدور الكوكب حول محوره في الوقت ذاته الذي يدور فيه حول النجم المركزي ،كذلك يشارك الانسان المفرد في تطور الانسانية سالكا في الوقت عينه درب حياته الخاصة** .ص112

121– **من المباح لنا أن نزعم ان المجتمع يطور بدوره أنا أعلى ذا نفوذ يتولى توجية دفة الارتقاء الثقافي.** ص 112 –113

122– **الأنا الاعلى لعصر ثقافي معين ذو أصل مشابه لأصل الأنا الأعلى للفرد؛ والأساس الذي يشاد عليه هو الأثر الذي يخلفه وراءهم أشخاص عظام ، قادة هداة ، أفراد محبو بقوة روحية مهيمنة، وجدت لديهم واحدة من الصبوات الانسانية تعبيرها الاقوى والاصفى ،ومن ثم المطلق.** ص113

123– **ان اولئك الاشخاص تعرضوا في حياتهم ،غالباً ،ان لم نقل دوماً –لهزء الأخرين ولسوء معاملتهم، هذا أن لم تجر تصفيتهم تصفية مروعة .ومصيرهم يشابه في الواقع مصير الاب البدائي الذي ارتقى، وأن بعد زمن مديد من تنفيذ حكم الموت فيه بأبشع صورة، الى مصاف الالهة** .ص113

124–فبسيطرة الأنا على الذات لا يمكنها ن تتجاوز حدوداً معلومة حتى لدى الانسان السوي زعماً. والمطالبة بماهو أكثر كم ذلك تستشير لدى الفرد تمرداً أو عصاباً ، أو تحكم عليه بالتعاسة .والوصية القائلة :"احبب قريبك كنفسك" هي في آن واحد أقوى أجراء دفاعي ضد العدوانية وخير مثال على طرائق المجافية لعلم النفس التي يعتمدها الأنا الأعلى للجماعة المتحضرة .أن هذه الوصية غير قابلة للتطبيق؛ فمثل هذا التضخيم العظيم للحب لا يمكن الا أن ينتقص من قيمته، لكنه لا يستطيع أن يدرأ الخطر. ص115

125– **أما علم الاخلاق المستند الى الدين فإنه يلوح لنا بوعوده بآخرة أفضل.لكن ما دامت الفضيلة لا تلقى مكافأتها في هذه الدنيا وعلى هذه الارض، فأن علم الاخلاق – انني من ذلك لعلى يقين –سيكون كمن يطرق الحديد بارداً. ويخيل الي انه لا مجال للشك أيضاً في أن تغيراً فعلياً في موقف الناس من الملكية سيكون هنا انجع وأجدى من أي وصية أخلاقية كائنة ما كنت ؛ لكن هذه الرؤية الصحيحة للامور من جانب الاشتراكيين يشوشها ويجردها من كل قيمه عملية تجاهل مثالي جديد للطبيعة البشرية.** ص 115–116

126 –ألم تصبح معظم الحضارات أو الحقب الثقافية –بل ربما الإنسانية بكاملها–"معصوبة" بتأثير جهود الحضارة بالذات ؟ ص116

127– **أن تطبيق التحليل النفسي على الجماعة المتحضرة ستكون عبثية أو محكوماً عليها بالعقم.**

128– **في حالة العصاب الفردي نجد ان أول صوة تفيدنا في الاهتداء الى الطريق الصحيح هي التضاد الملحوظ بين المريض وبين محيطه المنظور اليه على انه "سوي" . ومثل هذه القرينة هي ما نفتقده في حالة مرض جماعي من النوع نفسه ؛ وعليه لا مفر لنا من استبدالها بأي وسيلة اخرى من وسائل المقارنة.**ص 116

لا يجوز الكلام عن ضمير أخلاقي قبل ملاحظة وجود أنا أعلى

أن كل ضرب من الحرمان ،كل إعاقة لاشباع غريزي، يؤدي ويمكن أن يؤدي الى تفاقم في حدة الشعور بالذنب

أثناء عملنا التحليلي فوجئنا بأكتشافنا أن كل عصاب قد يشتمل على قسط من الشعور اللاواعي بالذنب ، ذلك الشعور الذي يجعل بدوره الاعراض المرضية أكثر تباثاً وصلابة بإستخدامه إياها كعقوبات

أن حضارة الجنس البشري هي بالطبع تجريد من نوع ارقى من تطور الفرد، وبالتالي من الاصعب أدراكها بصورة عينية .ومن الجهة الثانية تكوين وحدة جماعية بموازرة افراد عديدين

يبدو تطور الفرد حصيلة تداخل ميلين: التطلع الى السعادة الذي نسميه عادة "بالانانية"،والتطلع الى الاتحاد بسائرأعضاء المجتمع الذي نصفه بـ "الغيرية

الأنا الاعلى لعصر ثقافي معين ذو أصل مشابه لأصل الأنا الأعلى للفرد؛ والأساس الذي يشاد عليه هو الأثر الذي يخلفه وراءهم أشخاص عظام ، قادة هداة ، أفراد محبو بقوة روحية مهيمنة

بسيطرة الأنا على الذات لا يمكنها ن تتجاوز حدوداً معلومة حتى لدى الانسان السوي زعماً

الوصية القائلة :"احبب قريبك كنفسك" هي في آن واحد أقوى أجراء دفاعي ضد العدوانية وخير مثال على طرائق المجافية لعلم النفس

129- أن نتوقع أن يتجاسر احدهم ذات يوم على الشروع بدراسة علم امراض المجتمعات المتمدينة في هذه الوجهة.ص117

130 – أن كل حكم قيمة على الحضارة الإنسانية أمر بعيد غاية البعد ،لاسباب شتى ، عن تفكيري. ص117

131- انه مكره على الاستنتاج بان جميع تلك الجهود لاطائل فيها ، وليس من شأنها الا أن تؤدي الى حالة لا تطاق بالنسبة الى الفرد . 117

132- أن أحكام القيمة الصادرة عن بني البشر إنما تمليها عليهم بلا جدال رغائبهم في السعادة، وأنها تشكل بالتالي محاولة لتدعيم أوهامهم بحجج وأدلة.ص117

133- أن مسألة مصير الجنس البشري تطرح نفسها ، على ما يخيل الي ، على النحو التالي : هل سيكون في مستطاع تقدم الحضارة ، والى اي مدى ، أن يسيطر ويتغلب على الخلل الذي تحدثه في الحياة المشتركة دوافع البشر الغريزية الى العدوان وتدمير الذات ؟.ص118

134- فأهل هذا العصر قد قطعو شوطاً بعيداً في السيطرة على قوى الطبيعة بحيث بات من السهل عليهم ،بالاستعانه بها ، أن يفنوا بعضهم بعضاً عن بكرة أبيهم ، وهذا ما يفسر قدراً غير قليل من اضطرابهم الحالي وشقائهم وقلقهم .ص118

التي يعتمدها الأنا الأعلى للجماعة المتحضرة

أما علم الاخلاق المستند الى الدين فإنه يلوح لنا بوعوده بآخرة أفضل.لكن ما دامت الفضيلة لا تلقى مكافأتها في هذه الدنيا وعلى هذه الارض، فأن علم الاخلاق – انني من ذلك لعلى يقين –سيكون كمن يطرق الحديد بارداً

أن تطبيق التحليل النفسي على الجماعة المتحضرة ستكون عبثية أو محكوماً عليها بالعقم.

في حالة العصاب الفردي نجد ان أول صوة تفيدنا في الاهتداء الى الطريق الصحيح هي التضاد الملحوظ بين المريض وبين محيطه المنظور اليه على انه "سوي

أن أحكام القيمة الصادرة عن بني البشر إنما تمليها عليهم بلا جدال رغائبهم في السعادة، وأنها تشكل بالتالي محاولة لتدعيم أوهامهم بحجج وأدلة

هل سيكون في مستطاع تقدم الحضارة ، والى اي مدى ، أن يسيطر ويتغلب على الخلل الذي تحدثه في الحياة المشتركة دوافع البشر الغريزية الى العدوان وتدمير الذات

أنه حقاً كتاب جدير بالقراءة وننصح به كل زملاء الاختصاص في العلوم السلوكية من أطباء النفس وعلماء النفس وطلاب الجامعة والدراسات العليا والباحثين التربويين المهتمين بقضايا الفكر والثقافة والتربية وتاثيرها السلوكي على الشخصية .

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR47MaanAnxietyInCivilization.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتها التاسعة عشرة وتدخل عامها العشرون من التأسيس

19 عاما من الكدح... 17 عاما من التواصل "

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf